لقاء مع الأبرار

«١١»

المقدّس الأردبيلي

اضواء علىٰ حياته وشخصيته

تأليف آية الله الكريمي الجهرمي

ترجمة كمال السيّد

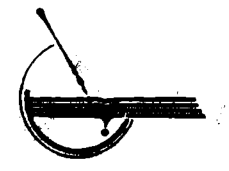

مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّس الأردبيلي

تأليف آية الله الكريمي الجهرمي

ترجمة كمال السيّد



ايران ـ قم ـ شارع الشهداء
مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
ص . ب ١٨٧ ـ هاتف ٧٤١٧٤٤

اسم الكتاب: المقّدس الاردبيلي
المؤلف: آية الله الكريمي الجهرمي
المترجم: كمال السيّد
صفّ الحروف: افتخاري
المطبعة: صدر
الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ. ـ ١٩٩٦ م
الناشر: مؤسسة أنصاريان
عدد المطبوع: ٣٠٠٠

المحتويات

الفصل الثالث « قبس من أخلاقه الرفيعة »

الفصل الرابع « الأردبيلي في رأي الآخرين »

تمهيد

يقوم الهجوم الثقافي علىٰ دعامتين؛ الأولىٰ: تحقير الثقافة الأصلية، والثانية: التهويل للثقافة البديلة والغريبة في نفس الوقت. ومن خلال هذا الاستلاب الثقافي واحتقار الثقافة العريقة يشعر الشعب بحالة من الصغار تجاه الآخرين، غافلاً عن ثقافته وما تحويه من الكنوز الثرّة، مستجدياً الغرباء، عارضاً حضارته وتمدّنه بثمن بخس.

ولقد عمل النظام البهلوي البائد علىٰ تكريس هذه السياسة في التعامل مع الغرب كإله للحضارة والمدنية والفن بل وحتىٰ الأخلاق والدين، وطرح الشرق باعتباره مثالاً للوحشية، والتخلف، وفي أحسن الأحوال: العالم الثالث عالم الدول النامية؛ ولقد نجحت تلك السياسات الشيطانية إلىٰ حدّما وأصبح الغرب في نظر الكثيرين ـ خاصة الشباب ـ يمثّل العالم الحرّ المنافح عن حقوق الإنسان والمدافع عن الديمقراطية والحرّية.

ولكن وكما يقال فإنّ الشمس لا تبقىٰ خلف الغيوم إلىٰ الأبد، وبدت الحقائق واضحة وبدأ عهد الصحوة الإسلامية.. العهد الذي يتّسم بعودة الجيل الحاضر إلىٰ فطرته وقرآنه وعقيدته ورموزه.

وبالرغم من هذه الاشراقة التي تبشر بالخير الوفير فإنّ حالة الاستلاب الفكري وفي كثير من المجالات الحساسة ما تزال تعاني ذيول التأثيرات الغربية.

فما تزال شهادات الغرب تخطف أبصارنا، وما يزال الدواء الذي لا يحمل اسماً غربياً طناناً، عديم التأثير والفائدة، و ما يزال الكثير من مظاهر الثقافة الغربية متغلغلاً بل و متجذّراً في تربتنا، و ما يزال الغرب يختار لنا الزي الذي نلبسه، ويعيّن نوع المداليات التي تمنح كجوائز للفائزين، وننتظر منه حتىٰ الجوائز الأدبية التي يسيل لها لعاب الكثيرين. ولكن هل من الصحيح أن نعدّ الغرب مثالاً؟ الغرب الذي ظهر علىٰ حقيقته بشعاراته الجوفاء.. وبدعاواه الفارغة في الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان.

لماذا هذا الشعور بالنقص تجاه جلّادي القرن الخامس عشر الهجري؟!

فالغرب الذي يمنح جوائزه «الأدبية» إلىٰ عديمي «الأدب» من أمثال سلمان رشدي، في الوقت الذي يصدّر أوامره بحرمان الطلبة المسلمين

من الإشتراك في أولمبياد الفيزياء مازلنا ننظر إليه كمثال، بالرغم من تمييزه العنصري المقرف.

إنّ علىٰ العالم الاسلامي أن يسعىٰ بجدّ إلىٰ تشكيل «نظام دولي اسلامي» وأن يقطع كل آماله من شعارات الغرب في الديمقراطية والحرّية والدفاع عن حقوق الإنسان.

وهل هناك أمل ونحن نشهد ما جرىٰ ويجري في الأرض الإسلامية في البوسنة والهرسك و الجزائر و فلسطين؟ وليعلم كل من يهمه أمر المسلمين أنه لا ملجأ إلّا في العودة إلىٰ أحضان القرآن وظلاله الوارفة.

و «لقاء مع الأبرار» خطوة في الطريق ـ طريق العودة الىٰ الذات من خلال الإشارة إلىٰ نجوم الفكر الإسلامي.. اولئك العمالقة الكبار الذين تضيع في عوالمهم وآفاقهم الرحبة زعماء العقائد الأخرىٰ ومفكّروها.

ان أشدّ ما يرهب الغرب ويرعبه، هو عودة الأمّة الىٰ هوّيتها.. إلىٰ رموزها.. إلىٰ اولئك الذين مهّدوا من خلال جهودهم المتظافرة طريق الإسلام اللاحب.

ولقد أخذت «لقاء مع الأبرار» عهداً علىٰ استكشاف معالم سبعين كوكباً مضيئاً في سماء الفكر الإسلامي، وتقديمهم معالم منيرة في طريق البناء.. بناء الحضارة الإسلامية من جديد.

الناشر

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على من علّمنا معالم الدين وعرّف بيننا وبين العلماء العاملين محمد وعترته الطاهرين، ولعنة الله على اعدائهم اجمعين.

لقد أمضىٰ علماؤنا الاعلام وزعماء ديننا الكرام أعمارهم الشريفة في اداء واجباتهم التي أمرهم الله عزّ وجل بها، فنهضوا بالعبء الجسيم والحمل الثقيل حتى بلغوا به المقصد المنشود، فكانوا مبلّغين لرسالتهم حقاً وصدقاً.

لقد اوقفوا انفسهم لخدمة دينهم، وإرشاد أُمّتهم، ونشر معارف الاسلام السامية، وبناء مجتمعهم في ضوء معالم الدين وأحكام الاسلام المبين، فوهبوا ارواحهم في هذا السبيل المقدس فسيجزيهم ربّهم أجرهم و ﴿ان الله لا يضيع اجر المحسنين﴾[1]، الذين عانوا ما عانوا في سبيل تثبيت دعائم الدين فجعلهم الله مع الخالدين.

---

(١) التوبة الآية ١٢٠، هود الآية ١١٥، يوسف الآية ٩٠.

الزمن يجري والحوادث تترىٰ والجديد ينسخ القديم وكل شيء مآله النسيان، أما أولئك الذين قدموا خدمات كبرى لدينهم وامتهم، فقد ظلّت اسماؤهم متألّقة، وظلّت آثارهم خالدة مدىٰ الأيام.

ولعلّ افضل بيان في هذا المضمار ما قاله امير المؤمنين عليه السلام: «هلك خزان الأموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، اعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»[1].

وفي طليعة اولئك العلماء والفقهاء العظام، المحقق الكبير والمجتهد الحصيف المرحوم الملّا احمد الأردبيلي قدّس الله نفسه ونوّر الله مضجعه والذي ملأ ذكره العالم الشيعي من خلال بحوثه وتحقيقاته وآرائه الدقيقة، فحظي بإجلال محافل أهل العلم فلهجوا بالثناء عليه لمنزلته وزهده وعرفانه.

فكان مضرب الأمثال في طهارة روحه وأدبه وتحلّيه بالفضائل والسجايا الأخلاقية الرفيعة.

وحقاً لقد كان الاردبيلي مجمع النورين، اذ جمع نور العلم والفقاهة ونور معرفة الله وتقواه، ويقين الزاهد ومكارم أخلاق العابد، فكان في ذلك مثالاً تاماً ومعياراً كاملاً للعلماء والمجتهدين، وأسوة لأهل اليقين.

ولقد ظل على مدى اربعة قرون منذ وفاته علَماً يستلفت انظار

---

(١) نهج البلاغة كلمة رقم ١٣٩.

محافل أهل العلم ومجامع أهل الدين، تلهج ألسنة الخيّرين بذكره، فهو الفقيه الفحل والعالم النحرير ومثال القداسة، وهـو نمـوذج لدى أهـل التحقيق وإمام لأهل الورع والتقوىٰ؛ استلهموا ويستلهمون شخصيته الرفيعة.

والآن وقد انعقد مؤتمر كبير لتمجيد ذلك العظيم، يجدر بالعلماء الذين بحثوا في أبعاد شخصيته أن يبحثوا في ابداعها الفقهي.

فلأهل الكلام بحوثهم عن كلامه العميق، فيما كتب بـعضهم حـول تفسيره لآيات الأحكام فانتهلوا من فيض علمه.

ذلك أن المحقق الكبير والمقدس الجليل القدر الملا أحمـد الأردبـيلي أعلى الله مقامه كان بحق من النجوم الساطعة في سماء الفقاهة والفضيلة ليس في عصره فحسب، بل وحتى عصرنا الحاضر.

فكان له وزنه العظيم في علمه، وهو ما يزال اسطورة خالدة في تقواه وطهارة نفسه.

وهذه السطور تدور حول ذكر شخصية المحقق الاردبيلي الكبرى، ارجو من الله القبول ومن الحضور الرضا.[١]

ويبحث هذا المؤلَّف عن أُسرة الأردبيلي، وأبعاد شخصيته العلمية،

---

(١) جاء الكتاب في الاصل كبحث مقدم للمؤتمر المنعقد حول شخصية الاردبيلي رضـوان اللـه عليه ـ المترجم.

اضافة الى شخصيته الأخلاقية والكلمات الرفيعة لهذا العظيم، واخيراً آراء أهل العلم فيه.

جدير بالذكر الاشارة الى عدم الدقة في تاريخ ولادته، فلم نجد للمؤرخين والمؤلفين واصحاب الرجال في هذا الموضوع شيئاً ذا بال، اضافة الى بقاء الكثير من سيرته الشخصية خلف ستار من الغموض.

وما يمكن الاشارة اليه هو ان محل ولادته كان في مدينة اردبيل وأن وفاته مسجّلة بتاريخ ٩٣٣ هـ في شهر صفر أي في نهايات القرن العاشر الهجري، وبالطبع يبقى عمره ايضاً غامضاً لغياب سنة الميلاد.

توفي ذلك الفقيه العبقري في مدينة النجف الأشرف ودفن الى جانب الروضة المباركة لأمير المؤمنين وامام المتقين علي عليه السلام وفي احدى حجرات الصحن المبارك.

في ختام هذه المقدمة ارفع يد الابتهال الى ذي الجلال وأسأله التوفيق لأن نقتدي بهذا العنصر الطاهر وان يجعلنا في زمرة عباده الصالحين وان يحشرنا تحت لوائهم.

﴿ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾.

الحوزة العلميه بقم
على الكريمي الجهرمي

الفصل الأوّل

أسرة الأردبيلي
في ضوء التاريخ

والده

لم يذكر التاريخ شيئاً عن والده، اذ لم يرد ذكـره في العـلماء ولا في الفقهاء، وكل ما يمكن استنتاجه بشكل عام هو انه كان من الصالحين الأخيار، اذا ورَد ذكره في بعض المواضع فلم يذكر له لقب او تشار الى منزلته العلمية اشارة.

وعلى هذا يكون المحقق الخالد، المـقدس الاردبـيلي مـن النـوابـغ العصاميين. ترعرع في اسرة عادية، ولكن همته وارادته تجاوزت بـه حدود محيطه الى آفاق العلم والابداع الواسعة حتى اصـبح شـخصية يشار اليها بالبنان.

والدته

وأما والدة الأردبيلي، فقد ذكر حرز الدين وهو احد فضلاء النجف الأشرف وأحد اساتذته ومشايخه بأن والدة الأردبيلي كـانت عـلوية ولكنه لا يعرف تفاصيل عن سلسلة نسبها.

ولذا حاول الاردبيلي نفسه التحقيق في الموضوع ولكنه اخـفق في معرفة ذلك، وشعر باليأس.

وذات يوم يضطر الأردبيلي فيما بعد الى ملازمة الفراش اثر مرض عضال، حتى يئس منه.

ورأى في فترة المرض وفي عالم الرؤيا امير المؤمنين علي والسـيدة الزهراء عليهـما السلام يزورانه وكانت الزهـراء تـرتدي نـقاباً يـغطي وجهها.

وهمس الأردبيلي في نفسه: اليوم اعثر على نسب والدتي، فـيتقدم الى الزهراء سلام الله عليها، فتسفر عن وجهها له وتهديه اثنتي عشرة حبة من الرطب، ويستيقظ من النوم.

ويتأوّل رؤياه بكشف الزهراء وجهها له، بانه ابن الزهـراء، وعـن حبّات الرطب التي اهدتها له، انه سيبلّ من وجـعه وسـيعيش اثـنتي عشرة سنة أخرى.

وقد أبلّ الأردبيلي من علّته واستعاد عافيته فانطلق يؤلف ويصنّف، حتى اذا سئل عن سبب شفائه اجاب برؤياه تلك، فعاش اثني عشر عاماً اعقبها اصابته بالزكام ورحل عن الدنيا بذلك[١].

---

(١) معارف الرجال ج ١ ص ٥٥.

زوجه وأولاده

ظلّ هذا الموضوع في حياة الأردبيلي من المواضيع الغامضة تاريخياً في حياة ذلك الرجل العظيم، ولكن التفحّص في بعض الزوايا يمكن أن يفيد الى حد ما في القاء الضوء.

فمثلاً نجد في حكاية القمح الوفير الذي كان المرحوم الأردبيلي يوزعه على الفقراء والمساكين(١)، اعتراضاً لزوجته تقول فيه: انك توزع هذه الكميات الكبيرة من القمح، فيما ابقىٰ وأولادي في حاجة فنسأل الناس، وهذا بالطبع يشير الى حياة الأردبيلي الأسرية.

يقول مؤرخ لأردبيل: يستفاد من حياة الأردبيلي انه كان له ولد يدعى: ابو الصلاح تقي الدين (محمد). وسيأتي الحديث عن حياته فيما بعد(٢).

ثم يضيف بعد ذلك: وقد اورد العلّامة الأميني في عداد شرّاح «تشريح الأفلاك حاشية وترجمة عن محمد بن احمد الأردبيلي واغلب الظن انه صاحب الترجمة»(٣).

---

(١) سوف نتعرض الى ذكر هذا الموضوع في الفصل الذي يتحدث عن سجاياه الأخلاقية.

(٢) تاريخ اردبيل وعلمائها ج ١ ص ٧١.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٤ نقلاً عن مخطوطات الطهراني.

خاله

يعد خال الأردبيلي عالماً بارزاً في بعض العلوم من قبيل علم الهيئة والفلك والرياضيات، وله في ذلك تبحّر وتخصص، فاق في ذلك علماء عصره كما عدّ من اعلام القرن العاشر، ذكر ذلك المرحوم العلّامة الطهراني ـ رحمة الله عليه ـ ويقال: «أن مولى الياس هو خال المحقق الأردبيلي» اذ عدّه من الشخصيات المرموقة وكان مرجعاً في علم الفلك والهندسة، وكان وحيد عصره في فنون الرياضيات.

وقد ا ستدعاه الملك همايون شاه التيموري الى افغانستان واعدّ له استقبالاً لائقاً في كابل، وقدم له الهدايا النفيسة واصبح من مقرّبيه، وقرأ الملك لديه فيما بعد كتاب «درّة التاج» لقطب الدين الرازي، الأمر الذي اثار بعض مشاعر الحسد لدى خواص السلطان، فاضطر الى ترك «موهان» والرحيل الى «كجرات»، ومنها الى مكة ثم الى العراق واخيراً حط رحاله في اردبيل وكانت فيها نهاية المطاف.

وقد ذكر المرحوم الاردبيلي هذه الشخصية الرفيعة أي خاله ومجّده وسنتعرض الى بعض ما ذكره في بحوث قادمة.

الفصل الثاني

منزلته العلمية

مراكز دراسته

لم يشر المرحوم الأردبيلي الى هذا الجانب، على أن بعض القرائن تشير الى ثلاثة مراكز علمية طوى فيها الأردبيلي مراحل دراسته:

■ اردبيل: وهي مسقط رأسه حيث نشأ فيها وترعرع ونما وهي مدينة آبائه واجداده. ومن الطبيعي انه طوى جزءاً من دراسته فيها.

■ شيراز: درس فيها العلوم العقلية حسب ما صرّح به صاحب رياض العلماء المرحوم الميرزا عبدالله الاصفهاني، ويمكن القول انه درس فيها ايضاً العلوم النقلية.

■ النجف الأشرف: حيث درس فيها الأردبيلي الفقه والاصول وكانت حوزة النجف يومئذ مركزاً كبيراً في الفقاهة والحديث والرواية.

اساتذته

تعكس منزلة المرحوم الأردبيلي العلمية الفائقة، منزلة اساتذته ومقدرتهم العلمية، ومن المؤسف أن يبقى هذا الجانب ايضاً بعيداً عن الاهتمام فلم يضبط المؤرخون اسماء الاساتذة الذين درس الأردبيلي

لديهم، ومدى استفادته منهم، وأي استاذ كان اكثر من غيره تأثيراً فيه، وكل ما ورد ذكره في هذا المضمار انه تتلمذ لدىٰ بعض تلامذة الشهيد الثاني رحمة الله عليه.

ويمكن الاشارة هنا الى ثلاثة من كبار اساتذته ومشايخه:

١ ـ مولانا جمال الدين محمود (تلميذ مولانا جلال الدين الدواني).

وقد درس المقدس الأردبيلي العقليات على يديه في شيراز وكـان ذاك في اواسط عمره، وقد ترك دراسة هذه العلوم في النجف واقتصر على العلوم النقلية الى أن رحل عن الدنيا[١].

ويقول العلامة حزر الدين بأنه: «درس العلوم العقلية والنقلية لدى جمال الدين محمود»[٢]

٢ ـ المرحوم السيد علي الصائغ وهو من ابـرز تـلامذة المـرحـوم الشهيد الثاني(رض) على انا لم نجد تصريحاً بـتتلمذ الأردبـيلي لديـه، سوى ما ذكر عن اجازته له في الاجتهاد، وهذه قرينة تشير الى تتلمذه لدى الصائغ؛ ذلك ان الاجازات في الاجتهاد وحتى في الرواية والحديث تدل بشكل قوي عـلى مـعرفة تـامة مـن لدن الصـائغ بـالاردبيلي . فالاجازات في ذلك يمنحها الاستاذ لتلامذته في حالة احاطته بقدراتهم

---

(١) رياض العلماء ج ١ ص ٥٦.

(٢) معارف الرجال ج ١ ص ٥٤.

العلمية وتقواهم[١].

٣ ـ جماعة من تلامذة الشهيد الثاني: وهو عنوان لاحتمال تتلمذه على ايدي تلامذة آخرين للشهيد الثاني غير السيد علي الصائغ. وجدير ذكره ان المرحوم الأردبيلي في بحثه حول القبلة يتحدث عن خاله المحترم ومنزلته العلمية قائلاً: وهذا جلّ ما استفدته من لدنه[٢].

وهي اشارة واضحة لتتلمذه على يد ذلك الرجل الكبير، فمن المستبعد ان ينقل عنه بحثه ذاك، أو غيره اثر جلسة واحدة او بسبب لقاء عابر، ومن هنا يمكن ادراج خاله ضمن اساتذة ومشايخ المرحوم الأردبيلي.

ويمكن القول ان مولانا جمال الدين محمود ـ رحمة الله عليه ـ هو استاذ الأردبيلي الوحيد الذي ورد ذكره صراحة.

مواهبه وفكره

كان المرحوم الأردبيلي شريكاً وزميلاً للملا عبدالله اليزدي صاحب

---

(١) ذكر المرحوم الشيخ يوسف المحدّث البحراني رضوان الله عليه في شأن (الصائغ): انه السيد علي الحسيني العاملي الجزيني (جزّين من قرى جبل عامل) رجل فاضل، عابد محدث، محقق من تلامذة الشهيد الثاني، شرح كتاب «الشرائع» وله شرح على «الارشاد» وآثار اخرى، لؤلؤة البحرين ص ٥٢.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان ج ٢ ص ٧٢.

الحاشية على التهذيب للتفتازاني المعروفة بحاشية الملّا عبدالله، وايضاً للمولىٰ ميرزا جان الباغنوي[١]، وهما في السكنى جاران، ولقد كان ميرزا جان الباغنوي يقضي الليل حتى الفجر في المطالعة فيما كان المقدس الاردبيلي يمضي معظم ذلك الوقت نائماً حتى اذا حان وقت السحر ونهض لصلاة الليل امضى وقته في التأمّل والتدبر في المسائل التي استعصى فهمها على الباغنوي فيوضحها له[٢].

وهذه المعلومة تسلط الضوء على مدى قابليات ذلك العظيم وسعيه واهتمامه بطلب العلم حيث يقضي وقت السحر في التهجد والعبادة، وادراكه السريع لما يطالعه يدّل على نبوغ كامل وفكر عميق، فبينا يقضي زميله الليل في المطالعة وفهم ما استعصى فهمه، يستيقظ الأردبيلي سحراً ويساعده علىٰ ادراك اسرار الموضوع.

تدريسه

لقد حاز الأردبيلي درجة كبيرة في العلم، فانصرف الى التدريس والتفّ حوله طلاب العلم ينهلون من فيض نبعه الصافي علوماً متعددة.

---

(١) الميرزا جان حبيب الله الشيرازي المتوفى سنة ٩٩٤ والباغنوي لقب له لمحلّة باغ نو في شيراز وتعني «البستان الجديد».

(٢) بهجة الآمال ج ٢ ص ١١٢.

فكان يدرس الفقه والاصول في اساليب متعددة، فاذا ظهر طالب نابغ غيّر اسلوبه وبحث معه ما يشكل عليه جاعلاً من ذلك درساً للجميع.

يقول المرحوم الحاج ميرزا عبدالله الاصفهاني وهو رجل محقق: «لقد سمعت من بعض المشايخ ان الشيخ حسن (صاحب المعالم) والسيد محمد (صاحب المدارك) قد درسا عنده كتاب شرح المختصر فكان يمرّ من المسائل التي ليس لها مدخل في الدين فيسقطها ويترك لها فراغاً ولا يجيز لتلميذيه قراءتها، فكانا ايضاً يمرّان من امامها الى مسائل اخرى»[١].

وقد ذكر المرحوم العلامة محسن الأمين: «انهما جاءا الى العراق وطلبا من الأردبيلي أن يعيّن لهما درساً خاصّاً لتسجيل آرائه الخاصّة وقد اجاب طلبهما، ولذا فقد كانا يقرآن عليه فلا يبدي رأيه في كثير من المسائل، اذ لم يكن لديه رأي خاص، وهذا ما جعل الطلاب العجم يسخرون منهما، فقال الأردبيلي: انهما سيعودان الى جبل عامل (في لبنان) وسيؤلفان ويصنفان الكتب التي سوف تستفيدون منها.

وهذا ما حصل، فقد كتب الشيخ حسن «المعالم» كما صنف السيد محمد «المدارك» ووصل الكتابان الى العراق ودُرِّس كلاهما في حوزة

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء ج ١ ص ٥٦.

النجف[١].

تلاميذه

من مفاخر هذا العالم الكبير ان تخرّج على يديه علماء كبار وفقهاء عظام.

يقول العالم المحقق المرحوم آقا ميرزا عبدالله الاصفهاني: «سمعت من مشائخنا ان لدىٰ الأردبيلي عشرة تلاميذ من الفضلاء والعلماء»[٢].

وهذه طائفة من تلامذة ذلك المجتهد الكبير:

١ ـ آقا ميرزا الاسترابادي: وهو بشهادة جماعة من الاعلام ومنهم المرحوم الاصفهاني انه من تلامذة المقدس الأردبيلي، وكان الاسترابادي من ابرز علماء عصره؛ له مؤلفات عديدة وله ثلاثية في الرجال تحت عنوان كتاب الرجال الكبير والرجال الصغير والرجال المتوسط. اقام في مكة المكرمة وتوفي في الثالث عشر من ذي القعدة سنة ١٠٢٨ هـ[٣].

٢ ـ مير فضل الله وكان ابرز تلامذة المرحوم الأردبيلي، كتب رسالة

---

(١) اعيان الشيعة ج ٣ ص ٨٢.

(٢) رياض العلماء ج ١ ص ٥٧.

(٣) رياض العلماء ج ٥ ص ١١٦.

ردّ فيها فتوىٰ استاذه بطهارة الخمر.

٣ ـ السيد محمد بن السيد علي العاملي: صاحب كتاب مدارك الأحكام في شرح شرايع الاسلام توفي سنة ١٠٠٩ هـ.

٤ ـ الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين العاملي: صاحب كتاب «منتقى الجمان» وكتاب «معالم الاصول» و «معالم الفقه» توفي سنة ١٠١١ هـ.

٥ ـ فيض الله بن عبدالقاهر التفريشي.

٦ ـ مير علام التفريشي: وقد ذكر الاصفهاني (الميرزا عبدالله) انه كان من افاضل تلامذة المولىٰ احمد الأردبيلي[١].

٧ ـ الشيخ محمد بن محمد البلاغي: وقد صرح المرحوم آية الله السيد حسن الصدر ـ رحمة الله عليه ـ انه كان من وجوه العلماء والمتأخرين ومن كبار المجتهدين وانه من تلامذة المقدس الأردبيلي[٢].

٨ ـ المولىٰ عبدالله الشوشتري: وقد ذكره المجلسي الأول، في شرحه مشايخ ورجال كتاب من لا يحضره الفقيه: «تتلمذ علىٰ شيخ الطائفة وازهد الناس في زمانه مولانا احمد الأردبيلي ـ رحمه الله ـ وفضائله لا تحصى، فرّ من كربلاء الى اصفهان واقام فيها اربعة عشر عاماً وفيها

(١) رياض العلماء ج ٣ ص ٣٢١.

(٢) تكملة أمل الآمل ص ٣٨٩.

توفي.

وكان عدد الطلاب وقت وصوله اصفهان لا يزيد على خمسين طالباً، وبلغ العدد عند وفاته اكثر من الف طالب، وكان يوم وفاته كيوم عاشوراء، شيّعه مئة ألف بعد ان صلوا عليه، ودفن في جوار اسماعيل بن زيد، ثم نقل جثمانه الى كربلاء بعد عام ولم يتأثر بدنه الزكي خلال تلك الفترة[١].

وذكره المرحوم الميرزا عبدالله الاصفهاني: العالم الكبير عاش في النجف وكربلاء مدة ثلاثين سنة ودرس لدى المجتهد الكبير مولانا احمد الأردبيلي، وقد اجازه في اقامة صلاة الجمعة والجماعة.

وفي دراسته على يد الأردبيلي تأمل رغم اقامته الطويلة في النجف وكربلاء[٢]. غير ان المجلسي الأول يصرّح بتتلمذه على يد الأردبيلي وهذا يوافق ما اوردناه.

رعايته لبعض التلاميذ

برز من بين تلامذة الأردبيلي من حظي برعايته واهتمامه، فاحتلوا موقعاً خاصّاً لديه، وفي طليعة هؤلاء صاحب «المدارك» وصاحب

(١) روضة المتقين ج ١٤ ص ٣٨٢.

(٢) رياض العلماء ج ٣ ص ٢٠٣ ـ ٣٠٤.

«المعالم» اذ كان يحترمهما ويجلّهما كثيراً.

ذكر المرحوم آية الله السيد حسن الصدر: بأنهما وردا العراق، وعرضا على الأردبيلي اقتراحاً حول طريقة خاصّة في الدراسة لديه تتلخص بمطالعتهما الكتاب المعين ودراستهما اياه، فما فهماه لا يحتاج الى تقريره، وما لم يفهماه يراجعانه فيه، وقد رحّب الأردبيلي بذلك، وبهذا درسا كتباً عديدة في الاصول والمنطق والكلام[1].

جدير بالذكر ان اقامة هذين العالمين الجليلين في النجف كانت قصيرة كما ذكر ذلك المرحوم الشيخ علي حفيد صاحب المعالم الذي لم يحدد مدّتها ولكنه قال: الشيخ حسن والسيد محمد صنّفا كتابيهما المذكورين وانهما وصلا النجف بعد وفاة الأردبيلي[2].

وقد قدّر المرحوم فترة الاقامة بعامين تزيدان قليلاً او تنقصان.

على أن صاحب روضات الجنات قد انتقد تاريخ وصولها النجف الاشرف في سنة ٩٩٣ لأنها سنة وفاة الأردبيلي.

وقد عادا الى بلدهما بعد مدّة دراستهما لدى الأردبيلي حيث انهى الشيخ حسن «المعالم» اضافة الى كتاب «منتقى الجمان» وأرسلهما الى

---

(١) تكملة أمل الآمل ص ١٤٢ ــ على ان ما نقل عن ذلك في الصفحات السابقة يشير الى ان الأردبيلي هو صاحب الاقتراح.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٣.

استاذه في النجف[١].

وقد تحدّث المرحوم الشيخ علي حول جدّه صاحب المعالم: طلب صاحب المعالم من استاذه الأردبيلي، تذكاراً بخطه المبارك، وقد اجابه الأردبيلي الى ذلك فكتب له احاديث على صفحة ماتزال موجودة، جاء في آخرها:

«كتب العبد لمولاه امتثالاً لأمره ورجاءً لتذكّره وعدم نسيانه اياه في خلواته وعقيب صلواته، وفّقه الله لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه بمحمد وآله وصلى الله عليه»[٢].

ومن جملة تلاميذه الذين حظوا برعايته مير علام ومير فضل حيث احتلّا موضعاً خاصّاً لديه[٣].

ذكر الاصفهاني عن بعض الأفاضل انه لدى وفاة مولانا احمد الأردبيلي كان الميرزا احمد الاسترابادي في النجف وكان حاضراً عند الأردبيلي، فسئل الأردبيلي الى من يرجع في التدريس بعده؟ فاشار الأردبيلي الى امير فضل في العلوم العقلية والى امير علام في العلوم

---

(١) تكملة أمل الآمل.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٢ ويلمس القارئ التواضع العميق لهذا العالم النوراني والمحقق الكبير ازاء تلميذه.

(٣) رياض العلماء ج ٥ ص ١١٦ ـ ١١٧ حيث المصدر يعود الى هذين العالمين في ج ٣ ص ٣٢١ ايضاً.

النقلية، وهذا ما جعل الآقا ميرزا احمد يتأثر لأن الاستاذ لم يشر اليه ولم يردف اسمه بعدهما، فلم يمكث فيالنجف بعد وفاة الأردبيلي وآثر الرحيل الى مكة حيث اقام هناك.

ويبدو ان صاحب المدارك وصاحب المعالم رضوان الله عليهما لم يكونا في النجف عند وفاة استاذهما الأردبيلي كما ذكرنا ذلك فيمامضىٰ، وهو ما يعضد الرواية التي تقول انهما طلبا منه طريقة خاصّة في التدريس بسبب قصر اقامتهما في النجف، وعلى هذا فانهما كانا في جبل عامل وإلا فان المرحوم الأردبيلي لم يكن يتعداهما في التدريس من بعده، أو اردفهما بعد مير فضل الله ومير علام على الأقل.

اهتمامه بالتحصيل العلمي

ان من خصوصيات العلماء الموفقين، اهتمامهم الفائق في التحصيل العلمي والتحقيق والمتابعة، وهذا ما امتاز به الأردبيلي بشكل جلي واضح حتى اضحى احدى سماته.

وقد بلغ من اهتمامه بالعلم وتقديسه له ـ حسب ما ذكر اهل التراجم ـ انه في سفره من النجف الى كربلاء لزيارة مرقد الامام الحسين عليه السلام كان يجمع في صلاته بين القصر والتمام، وكان يقول: اخشى أن يكون سفريهذا سفر معصية، لأن طلب العلم واجب بينما زيارة

مرقد الامام الحسين عليه السلام امر مستحب، وهو مع كل ذلك كان يمضي سفره في المطالعة والتأمل في مشكلات العلوم[١].

وحقاً ان في القصة عبرة لأُولي الألباب من أهل العلم والعلماء والمشتغلين في دراسة العلوم في الحوزات العلمية فلا ينفقون اوقاتهم في غير طلب العلم أو يقضونها في السفرات الترفيهية.

لقد كان ذلك العظيم يستوحش حتى من سفر الزيارة، لأنه يدرك موقع العلم واهميته، وهذا امر مدهش اذا ما عرفنا انه حتى في سفره لم يكن لينقطع عن العلم اذ كان يقضي وقته في المطالعة والتأمل، فاذا به يجمع في صلاته خشية أن يكون سفره هذا سفر معصية، فرحمة الله عليه.

مدرسته في شيراز والنجف

ذكرنا آنفاً ان الأردبيلي كان قد طوى جزءاً من دراسته وتحصيله العلمي في شيراز ونضيف هنا ان الأردبيلي لم يدرس هناك فحسب بل كان يدرّس ايضاً، وكان له طلابه الذين نهلوا من فيض علومه، وإنّ له

---

(١) بهجة الآمال في شرح زبدة المقال ج ٢ ص ١١١، الفوائد الرضوية للمحدث القمي ص ٢٤.

«مدرساً»[١] يلقي فيه دروسه.

ولقد كنت في اوائل تحصيلي في شيراز ورأيت بنفسي في مدرسة السيد علاء الدين حسين وهي مدرسة علمية والى جانب الصحن المبارك للمرقد وفي ايوان احدى الحجرات رخامة تذكارية تشير الى المكان الذي كان المرحوم الأردبيلي يلقي فيه دروسه. والتذكار هذا جاء على صيغة ابيات شعرية باللغة العربية:

هـذه بـقعة مـباركة مـا	مـثلها بـقعة تـرى في البـلاد
مـهبط الفـيض مـنبع العـلم و	الفضل حمـل التـق مـقام السـداد
مـدرس الشـيخ احمـد الأردبـيلي	امـام الورىٰ وفـخر العـباد
واصـل كـامل وداعٍ الى الحـق	وهـاد الى سـبيل الرشـاد
خـربت وانمـحت رسـوم بـناها	في طـويل الازمـان والآبـاد
ثم عادت معمورة في زمـان المـلك	العـادل السـخي الجـواد
في زمـان الامـير مـعتمد الدولة	فـخر الآبـاء والاجـداد
دوحـة المجـد والمكـارم والنـصفة	والجـود والنـدى والأيـادي
واذا مـا قـصدت تـعلم تـاريخ	بـناها بـدقة واجـتهاد

وهناك تكملة تشير الى تاريخ البناء وهي مع الأسف غير قابلة للقراءة ولا للتصوير أيضاً.

---

(١) محل القاء الدروس ويعني الصف او الفصل في المدارس الحديثة ـ المترجم.

وقد ذكر المرحوم فرصت الدولة حول هذا الموضوع ان تاريخ المدرسة النظامية التي تعرف اليوم باسم مدرسة سيد علاء الدين حسين يعود الى عهد الميرزا نظام الملك الوزير الفارسي، وقد خربت اركانها بتعاقب العصور، فجدد عمارتها محمود خان مرودشتي بأمر المرحوم الحاج معتمد الدولة فرهاد ميرزا وذلك سنة ١٢٩٤ هـ وكان المرحوم الملا احمدالأردبيلي يلقي دروسه في هذه المدرسة. وجاء في حاشية الكتاب بأن نظام‌الملك بنى المدرسةالمذكورة في سنة ١٠٧٠ هـ[١].

وكتب ايضاً ان الملّا احمد الاردبيلي الآذربيجاني اعلى الله مقامه مشهور بالزهد والتقوى في زمانه، وشرح حاله في كثير من الكتب مسطور، له جملة من التأليفات منها كتاب مجمع الفائدة والبرهان وزبدة البيان، وحديقة الشيعة، وكانت وفاته في‌النجف الأشرف سنة ٩٩٣ هـ كما ذكر.

وعن «مدرس» المرحوم الأردبيلي في النجف يقول صاحب تاريخ اردبيل: وحجرة درسه مهد لتربية العلماء الأعيان وزعماء الاسلام والايمان، وقد اغلقت حجرته احتراماً لقدره ولم تفتح حتى الآن[٢].

---

(١) آثار العجم ص ٤٩٨ ـ ولا يخفى لو كان تاريخ بناء تلك المدرسة في سنة ١٠٧٠هـ، فان الاردبيلي لم يكن ليدرّس فيها لأنه توفي سنة ٩٩٣هـ.

(٢) تاريخ اردبيل ودانشمندان ـ بالفارسية ج ١ ص ٧١.

عقيدة الاردبيلي واتباعه

كان للمرحوم الأردبيلي وعلاوة على شهرته كفقيه خالد ومجتهد مشهور بدقة النظر والتحقيق، كان له اسلوبه الفقهي الخاص، واستقلاليته في استنباط الأحكام، واصالة كاملة في التفكير والاجتهاد، اذ يخضع المسائل الى بحث شامل وتحليل كامل في ضوء الآيات وروايات أهل بيت الوحي، ومعدن الرسالة، ونبع الاستنباط الفياض، فهو يفتي من خلال ذلك مع ملاحظة ما افتى به السلف الصالح ومقارنته به.

وقد لقي اسلوبه الفقهي ترحيباً من لدن معاصريه فتابعوا اسلوبه واصبحوا في ذلك من مقلديه والسائرين في طريقه ومذهبه؛ ومن هؤلاء:

١ ـ صاحب المدارك وهو احد تلامذته كما ذكرنا ذلك وقد توفي سنة ١٠٠٩ هـ وبهذا يعد أول من التحق به من تلامذته.

٢ ـ صاحب المعالم الشيخ حسن بن زيد الدين توفي سنة ١٠١١ هـ.

٣ ـ الملّا عبدالله بن حسين الشوشتري رضوان الله عليه توفي سنة ١٠٢١ هـ.

٤ ـ محمد باقر بن محمد المؤمن السبزواري صاحب كتاب «ذخيرة

العباد وكفاية الأحكام» والمتوفى سنة ١٠٩٠ هـ.

ويضيف بعض المحققين الى ما ذكرنا المرحوم الملا محسن الفيض محمد بن مرتضى المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ، فهو بالرغم من اخباريته الى حدّ ما إلا انه تابع ذات الاسلوب وكان يشاطر الأردبيلي في كثير من آرائه التي اختلف بها مع فقهاء وعصره.

وكذا صاحب الجواهر الفقيه الشيعي الكبير الذي رفض اسلوب الفيض والسبزواري وعدم اعتنائهما بافكار وآراء الماضين، وكان يطلق على الفيض والسبزواري وصاحب المدارك، اتباع المقدس[1].

تأثر صاحب المدارك بالأردبيلي

تفيد الشواهد والآثار في ما كتب تلاميذ الأردبيلي بأن المرحوم صاحب المدارك ـ اعلى الله مقامه ـ قد وقع تحت تأثير الأردبيلي بشكل خاص، فقد حفل كتاب المدارك بالاشارة الى استاذه مقروناً بعبارات الثناء والتمجيد، ليس لشخصه فحسب بل ولآرائه ايضاً، وتبدو موافقته لآرائه هي الغالبة في مقابل ما ينقده من الآراء.

---

(١) الأرض في الفقه الاسلامي ص ٦٩، لا يعلم بالضبط هل ان اتباع المقدس الذي اطلقه صاحب الجواهر عليهم في الاسلوب الفقهي كله او في بعض الأبواب من قبيل باب القبلة، فقد ورد التعبير الآتي مثلاً: الى غير ذلك مما لفق اتباع المقدس المزبور، الجواهر ج ٧ ص ٣٤٣.

فهو يعبر عن استاذه مرّة بـ«شيخنا المعاصر»، كما ورد ذلك في بحثه حول الاستحاضة المتوسطة حيث اشتهر عن العلماء قولهم بوجوب الغسل الواحد اضافة الى رأي بعض العلماء الذي يقول بوجوب ثلاثة اغسال والحاقها بالاستحاضة الكثيرة فيقول: «واليه ذهب شيخنا المعاصر وهو المعتمد»[١].

كما نجد ايضاً في باب جهل القبلة حيث المشهور اداء الصلاة في اربع جهات، وقد نقل عن ابن ابي عقيل اذا كان ذلك بسبب كثافة الغيوم، أو الظلام صلى في الجهة التي يريد، فاذا مضىٰ الوقت وظهر له ان الجهة التي صلى فيها كانت غير جهة القبلة امضى صلاته دون اعادة، وهو قول ابن بابويه ايضاً، كما ذهب اليه العلامة فلم يستبعده في المختلف، كما مال اليه الشهيد ايضاً في كتابه (الذكرى).

وهنا يقول صاحب المدارك: «وقوّاه شيخنا المعاصر وهو المعتمد»[٢].

وايضاً في قول (آمين) بعد قراءة الحمد حيث المشهور حرمتها فهو ينقل رأي ابن الجنيد بجواز ذكرها ويردف ذلك بقوله: ومال اليه

---

(١) مدارك الأحكام ج ١ ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢) مدارك الأحكام ج ٣ ص ١٣٦.

المصنف في المعتبر وشيخنا المعاصر»[١].

وفي ردّ المصلّي للتحية، فقد اوجب بعضهم ذلك، بشكل يفهم المسلّم جواب سلامه وبعض افتى بعدم وجوبه والظاهر الجواز لدى المحقق في المعتبر ثم يردف قائلاً: «وقوّاه شيخنا المعاصر»[٢].

وفي مسألة البيع وقت الآذان لصلاةالجمعة، فقال بعضهم كالمحقق بصرف حرمتها، وحرمة المعاملة، وقال فريق آخر كشيخ الطائفة في المبسوط والخلاف وكذا ابن الجنيد ببطلانها. وهنا يقول صاحب المدارك: «ومال اليه شيخنا المعاصر»[٣].

وقد يذكر شيخه مع الدعاء بسلامته كما ورد ذلك في مسألة كفاية الاغسال بما في ذلك غسل الجنابة عن الوضوء حيث المشهور أن تلك الاغسال عدا غسل الجنابة لا تغني عن الوضوء للصلاة، وقد نقل صاحب المدارك عن السيد المرتضى وابن جنيد رحمها الله ان الأغسال الأخرى هي كغسل الجنابة وهي تغني عن الوضوء ثم يقول: «وقوّاه شيخنا المعاصر سلّمه الله»[٤].

وفي مسألة العصير بعد الغليان وقبل أن يتبخر ثلثاه حيث المشهور

---

(١) مدارك الأحكام ج ٣ ص ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٤.

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٧٨.

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٨.

بين المتأخرين الحكم بنجاسته.

وقد نقل عن ابن ابي عقيل التصريح بطهارته ويميل الشهيد الثاني في حواشي القواعد الى هذا الرأي، ويردف ذلك بقوله: «وقوّاه شيخنا المعاصر سلّمه الله تعالى وهو المعتمد»[١].

وفي مسألة الأذان لصلاة العصر في يوم الجمعة أيضاً حيث اسقط بعض الفقهاء وجوبه أو حكموا بعدم جوازه. اذ ينقل عن ابن البرّاج والمفيد في الأركان ان الأذان لتلك الصلاة مستحب ثم يقول: «والى هذا القول ذهب شيخنا المعاصر سلّمه الله وهو المعتمد».

وقد يورد ذلك مكتفياً بـ «شيخنا» والدعاء من اجل سلامته كما هو في مسألة البيع وقت الأذان لصلاة الجمعة، حيث يقول الأردبيلي ببطلانه، ويعلق صاحب المدارك ولعل في نهيه عن المعاملات لأنها تؤدي الى الفساد أو لعدم ثبوت العقد الحرام، وكما ادعاه شيخنا سلّمه الله»[٢].

وفي مسألة النيابة في الحج وهل تصلح نيابة الصبي المميز أم لا. اذ عرف في مذهب اصحابنا المنع ثم يقول: «ورجّح بعض مشايخنا المعاصرين جواز نيابته مع الوثوق باخباره وليس ببعيد عن

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٤.

الصواب»[١].

وربما عبر عن استاذه بـ «بعض مشايخنا المحققين» كما في موضوع الغصب حيث تصح الصلاة اذا كان جاهلاً بالحكم واذا صلى في الملك المغصوب فهذا لدى اصحابنا ليس بمعذور وصلاته باطلة لأنه تقصير في تعلم المسائل والأحكام فيقول: «وقوىٰ بعض مشايخنا المحققين إلحاقه بجاهل الغصب ولا يخلو من قوّة»[٢].

وربما ذكره تحت عنوان «شيخنا المحقق» ثم يدعو له بالسلامة كما في مسألة الدخول في الصلاة مع جهل بحلول الوقت او نسيانه ذلك ثم اكتشافه ان الصلاة كانت في وقتها، حيث يقول البعض بعدم جوازها وبعض قالوا بجوازها ثم يقول: «والأصح الثاني وبه قطع شيخنا المحقق سلّمه الله»، ثم ينهي كلام الأردبيلي المنقول عن كتاب مجمع الفائدة والبرهان قائلاً: «انتهى كلامه اطال الله بقاءه»[٣].

وايضاً في مسألة السفر بعد الزوال في يوم الجمع، اذ يحرّم الأصحاب ذلك، ويقول الشهيد الثاني في روض الجنان: ويقضي هذا الرأي بعدم جواز السفر اذا كان ذلك موجباً لفوات واجب من قبيل تعلم الأحكام،

---

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢١٩.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٢.

ويعلق صاحب المدارك قائلاً:

«واعترضه شيخنا المحقق اطال الله بقاءه بأن هذا كله مبني على...»[١].

وقد يطنب في الثناء عليه كما في مسألة القبلة حيث يقول الشهيد الثاني بوجود نجم بالقرب من الجدي لا يراه إلّا حديدو البصر ويسمى «القطب» وهو علامة القبلة في العراق اذا جعلها المصلي خلف منكبه الأيمن، وهنا يعلق صاحب المدارك قائلاً:

«ونقل شيخنا المحقق المدقق مولانا احمد المجاور بالمشهد المقدس الغروي على ساكنه السلام عن بعض محقق أهل ذلك الفن ان هذا الشرط غير جيد..»[٢].

ونستخلص من كل هذا ما يلي:

ألف: سمو المنزلة والمقام العلمي الذي احتله المرحوم الأردبيلي في قلب فقيه كبير في مستوى صاحب المدارك ومدى تأثره بشخصيته وآرائه.

ب ـ عمق التقدير الذي يكنّه تلميذ لاستاذه الكبير، والخلاصة:

---

(١) مدارك الأحكام ج ٤ ص ٦٠ ـ ويراجع روض الجنان ص ٢٩٥ ومجمع الفائدة والبرهان ج ٢ ص ٣٧٢.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

صاحب المدارك في هذا المضمار مثال يحتذىٰ لكل تلميذ وطالب مهما بلغ السموّ في المراتب العلمية، فالتلميذ يبقى الى الأبد مديناً لاستاذه.

ابداء للأسف

كانت من خصائص المرحوم الأردبيلي انه يولي اهمية للعلم والتحقيق، وكان يحترم رجال العلم كثيراً، فاذا صادف والتقى عالماً نحريراً متخصصاً في حقل من العلوم لازمه مستفيداً منه.

ففي بحثه حول القبلة يذكر أهل الاختصاص في علم الهيئة فيقول:

وأهل هذا العلم اليوم قليلون جداً، فانا لا اعرف في هذا سوى خالي وهو في منزلته يأتي بعد نصير الدين الطوسي رحمه الله، وهو من علماء هذا الفن ومن حكماء الاسلام، وهو في دينه وحيد عصره، اسأل الله أن يوفقه لرضاه ويمنّ علينا بالاستفادة من علمه وفكره.

وقد سألت الله ان يوفق هذا العبد الى لقائه، وبعد فراق خمسة وعشرين عاماً، وفقت الى خدمته في النجف.

فمرضت اياماً، وغفلت اياماً أخرى، والخلاصة فاني لم اشكر هذه النعمة حتى فارقني وذهب.

اسأل الله أن لا يؤاخذني، وان يمنّ عليّ بالحضور لديه والاستفادة منه مقدار الضرورة في هذا العلم وفي سائر العلوم الحقيقية الضرورية،

واسأله أن يمنّ عليّ بعطائه بحق محمد وآله، انه ولي التوفيق»[١].

وفي هذه السطور ما ينمّ عن تواضع كبير وتمجيد عميق، فهو الى جانب منزلته السامية يتأسف على عدم الاستفادة من خاله، فيتضرّع الى الله أن يوفقه لخدمته مرّة اخرى.

وما ينبغي الانتباه له هنا ان الأردبيلي وبالرغم من تفوقه الفقهي واعتداده بنفسه وآرائه وعدم اعتنائه بعلماء السلف نرى أن هذا لا يشكل قاعدة عامة في منهاج الأردبيلي، ذلك اننا نلمس في كتابه مجمع الفائدة والبرهان، نوعاً من التردد في ابداء رأيه صراحة اذا كان ذلك مخالفاً للمشهور، وربّما قال ان مخالفة ذلك الرأي يحتاج الى جرأة. والخلاصة ـ ومهما بدا الأردبيلي جريئاً في ابداء وجهات نظره وآرائه ـ فانه يقف متردداً ازاء الآراء المشهورة للسلف، وكل هذا يشير الى مدى تواضعه العلمي واحترامه لرجالات السلف الكبار.

ومن قبيل ذلك في بحثه التخليل اثناء الغسل ونفوذ الماء الى تحت الشعر، فهو يشكك في النظرية المشهورة ويقول ان الاكتفاء بغسل الرأس بغرفة أو غرفتين من الماء وهو ما صرحت به الروايات مع لزوم

---

(١) مجمع الفائدة ج ٢ ص ٧١ ـ ٧٢، ولا يخفى ان الياس الأردبيلي العلامة الفلكي والرياضي قدم اقام مدّة في الهند ويعدّ من اعلام القرن العاشر، عاد الى اردبيل بعد تطواف وتوفي فيها.
وكان الأردبيلي يمجّد خاله كما ورد في كتاب زبدة البيان اذ يقول فيه أن خالي اليوم في هذا العلم لا نظير له.

التخليل وايصال الماء الى الجلد، لا يوافق اهل الشعر الوفير، ثم يردف ذلك بقوله إلا اذا كان الاجماع موجوداً أو دلّت الأخبار على هذا المعنى، وإلا فما قلناه ممكن. والسكوت عن هذا أولى»[١].

معاناة الأردبيلي

وبلغ من ظمئه الى الحقائق ومحاولة اكتشاف الحكم الإلهي في المسائل انه كان يقف متعذباً ازاء تضارب الروايات وآراء الفقهاء، في مسائل الاختلاف، يمزّقه القلق وتعصف بروحه الآلام، ويعبر عن تلك الحالة بقوله: واظنّها اعظم بالنسبة اليَّ من القتل، فاني ما افهم مسألة خالية عن شيء من الشبهات إلا قليلة من الكثيرات.

ففي بحثه صلاة الجمعة واستعراضه الاحتمالات والآراء المختلفة والاستدلال عليها، وما تنطوي عليه تلك الآراء من الضعف، يسوقه الموقف الى الجمع بين صلاة الجمعة وصلاة الظهر احتياطاً ثم لا يرى في هذا الرأي خلاصاً للمؤمنين من الشكوك والشبهات إلا بظهور «ولي الامر» الذي ينطق بالحق اليقين، ثم يتوجه الى الله متضرعاً بحق مدينة العلوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبابها علي عليه السلام أن يخلصه من هذه الهموم والشكوك والحيرة بظهور وارث الحكمة والعلوم».

(١) مجمع الفائدة والبرهان ج ١ ص ١٣٧.

ثم يشير الى احتمال حكمة في الموضوع واختلاط الشبهات بالأحكام حتى لا يغفل المرء عن العبادات فيشتغل فيها ويكسب الكمالات فيكون نصيبه حسنة من الحسنات، فلا يعذبه الله بعذاب أهل الذنوب، وحاله كالغريق يبحث عن أي شيء يتشبث به من اجل النجاة.

ثم يجعل من كل ذلك نوعاً من المعاناة والعذاب الذي يصقل الانسان ويعلمه الصبر على الابتلاءات والمحن.

أو أن الشارع جعل لقبول الطاعات شروطاً كثيرة، وفي مقدمتها الاخلاص في النية، ولم يجعل لصحة الذنب شرطاً فارشد الانسان الى هذه النكتة المذكورة، التي لا تخلو من حكمة للمتأمّل فيها[1].

آثاره العلمية

للمرحوم الأردبيلي آثار علمية وبحوث متعددة وهذه طائفة من كتبه ومؤلفاته:

١ ـ زبدة البيان في احكام القرآن.

٢ ـ مجمع الفائدة في شرح ارشاد الأذهان.

٣ ـ حاشيته على شرح التجريد.

---

(١) مجمع الفائدة والبرهان ج ٢ ص ٣٦٤.

٤ ـ حديقة الشيعة.

٥ ـ رسالة في الخراج، مطبوعة في كتاب كلمات المحققين ص ٣١٥.

٦ ـ رسالة مختصرة اخرى في الخراج وهي مطبوعة في الكتاب السابق ص ٣٢٠.

٧ ـ تعليقات على قواعد العلامة.

٨ ـ تعليقات على تذكرة العلامة.

٩ ـ تعليقات مختصرة على شرح المختصر للعضدي.

١٠ ـ رسالة مختصرة باللغة الفارسية في مناسك الحج.

١١ ـ رسالة المبسوط والمفصل في الامامة باللغة الفارسية.

١٢ ـ حواشي على كتاب كاشف الحق.

١٣ ـ رسالة في اثبات الواجب.

١٤ ـ رسالة في عدم حجية قول الاصحاب بعدم خلو الزمان من المجتهد.

١٥ ـ رسالة في كون افعال الله تعالى معللة بالأغراض.

١٦ ـ عقائد الاسلام في علم الكلام باللغة التركية العثمانية وهي تشتمل على جميع مباحث الكلام من عقليات ونقليات كما صرح بذلك معارف الرجال ج ١ ص ٥٤.

١٧ ـ رسالة حول مواقعة الحائض بعد انقطاع الدم[١].

١٨ ـ تعليقات على الكشاف للزمخشري، وقد ورد في مجمع الفائدة والبرهان ص ٣١٦ اشارة اليه في بحثه آية الكرسي وقراءتها.

وتبق من بين جميع مؤلفاته ثلاثة آثار هامّة، يختص كل منها بحقل علمي منفرد وهي كالتالي:

مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الأذهان الى احكام الايمان

والكتاب كما يشير العنوان شرح على ارشاد الأذهان للعلّامة الحلّي وهو شرح مفصّل ومستوفٍ ويعد من نفائس الكتب الاستدلالية ومن خزائن الفقه الشيعي المباركة، فكان محلاً لاهتمام كبار العلماء، فبحثوا مواضيعه، نقضوا بعضها وأيّدوا البعض الآخر، وفي طليعتهم شيخ الفقهاء المرحوم صاحب الجواهر (قدس سره) اذ اورد مختلف آراء الأردبيلي فابرم بعضها ونقض البعض الآخر.

وكذا استاذ الفقهاء المرحوم الشيخ مرتضى الانصاري ـ اعلى الله مقامه ـ حيث اورد في مناسبات مختلفة وفي مسائل المكاسب مواضيع من الكتاب (مجمع الفائدة) فينسب الآراء مرّة الى الكتاب تحت العنوان

(١) ورد في مجمع الفائدة ج ١ ص ١٥٢ ان هذه المسألة قد بحثت في رسالة مستقلة مع امعان النظر والتأمل وذكر الأدلة والأبحاث مع الشهيد الثاني.

المتقدم أو عنوان آخر هو «مجمع البرهان» وفي موارد أخرى يجمع بين الأثنين «مجمع الفائدة والبرهان».

وقد عدّه المرحوم صاحب «روضات الجنات» رضوان الله عليه كتاباً كبيراً مشهوراً، وفيه فضل وتحقيق واتقان معروف بين الأصحاب[١].

وقال فيه العلّامة علياري: كتاب حسن رفيع لم يصنف نظيراً له وهو كتاب معروف ومشهور[٢].

وقال فيه العلّامة الطهراني: شرح كبير جيد شرع الأردبيلي بتأليفه في كربلاء في شهر رمضان سنة ٩٧٧ هـ وفرغ منه سنة ٩٨٥ هـ[٣].

ومن خلال هذا التاريخ نعلم ان المرحوم قد انفق في تأليف كتابه ثمانية اعوام من عمره الشريف.

ويعد «مجمع الفائدة» من الكتب الفقهية القيّمة، ومن المؤسف انه لا يمثل دورة كاملة في الفقه، اذ يضم مسائل العبادات الى آخر المتاجر ويستوفي الصيد والذباحة، ولكنه يفتقد ابواب النكاح ومتعلقاته والطلاق والخلع والمباراة والكفارات والعتق والمكاتبة والاستيلاد

---

(١) ورضان الجنات طبعة قديمة ص ٢٤.

(٢) بهجة الآمال ج ٢ ص ١٠٨.

(٣) الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ٢٠ ص ٣٥ ـ ٣٦.

والايمان والنذور والعهود، وبالطبع لا يعرف حتى الآن فيما اذا كان الأردبيلي قد كتب هذه الابواب ثم ذهبت بها عاديات الزمان أو انه لم يكتبها، او كتبها ولكنها اهملت في الاستنساخ لرداءة خطّها.

وقد طلب من تلميذ الأردبيلي الأول (صاحب المدارك) ان يستكمل ما نقص من الأبواب، فبادر الى ذلك معتمداً كتاب المختصر النافع للمحقق الحلّي صاحب الشرايع[١].

ولم يملأ صاحب المدارك من الفراغ إلا باب النكاح، فلم يتابع بحوثه في الأبواب الأخرى.

وقد يبدو معقولاً ان الأردبيلي لم يكتب في الأبواب التي لم تكن محلاً للابتلاء كالعتق والتدبير والمكاتبة، ولكن من المستبعد جداً أنه لم يكتب في مسائل ملحّة وضرورية كالنكاح والوصايا، هذا يرجّح احتمال كتابتها ثم ضياعها.

جدير بالذكر ان الكتاب على عظمته وسمو منزلته واشتماله على البحوث العامة للفقهاء والمجتهدين، قد تعرض لنقد كبار العلماء وقد انصب النقد على مجمل الكتاب الذي عدّ خروجاً على فتاوى زعماء الفقه وطريقتهم.

وقد اشار الى هذه النقطة كل من صاحب روضات الجنات

---

(١) الذريعة ج ٢٠ ص ٣٥.

والمرحوم علياري رحمة الله عليهما حيث عدّا الكتاب بشكل عام خروجاً على الطريقة المعتمدة لدي الفقهاء اضافة الى اشتماله على دقائق فلسفية[١].

ومن المدهش وحسب ما نقل، ان المرحوم الأردبيلي كان يعرض كتابته على تلميذيه «صاحب المعالم وصاحب المدارك»، لضبطها وصياغتها واصلاحها، ومع ذلك فقد كان الكتاب لا يخلو من التعقيدات في العرض التي تجعل من ادراك المعنى مهمة شاقة.

زبدة البيان

والذي ورد في بعض العناوين بصيغته الكاملة : « زبدة البيان في براهين احكام القرآن، وتفسير آيات احكام القرآن».

وهذا الكتاب الجليل شرح وتفسير لطائفة من الآيات القرآنية الكريمة التي تحدد شكل بعض الأحكام، كالآيات المتعلّقة بالطهارة والوضوء والغسل والصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة والحدود والديات والقضاء والشهادات وسائر الأحكام الأخرى.

ويعد هذا الجهد خدمة كبرى في المجال الفقهي، من خلال فهم مغزى الآيات ومراميها، ومصدراً هاماً لأهل التحقيق. وقد اشار العلياري الى

---

(١) روضات الجنات ص ٢٣، بهجة المقال ج ٢ ص ١١٢.

اهميته التحقيقية وفوائده الجمّة[١].

وجدير ذكره ان بعض كبار العلماء من الذين نال الكتاب اهتمامهم قد كتبوا حواشيهم عليه، ومن هؤلاء: المحدث والمفسر الكبير الفيض الكاشاني رحمة الله عليه المتوفى سنة ١٠٩١ هـ والمرحوم السيد نعمة الله الجزائري رحمة الله عليه المتوفى سنة ١١١٢ هـ؛ كما وترجم الى اللغة الفارسية[٢].

وممن كتب شروحه على الكتاب السيد محمد سعيد بن سراج الدين قاسم بن الأمير محمد الطباطبائي القهبايي المولود سنة ١٠٢١ والمتوفى سنة سنة ١٠٩٢ فسمى شرحه «مفاتيح الأحكام في شرح آيات الأحكام»[٣].

وقد اعتمد الأردبيلي في كتابه التفسيري الشريف، مواضيع التفسير الشيعي المشهور «مجمع البيان» للطبرسي، وتفسيرين آخرين لاخواتنا أهل السنة وهما «الكشّاف» للزمخشري و «انوار التنزيل» للقاضي البيضاوي، حيث نقد وانتقد بعض ما ورد فيها واشار خلال ذلك الى نقاط مفيدة.

---

(١) بهجة الآمال ج ٢ ص ١٢٢.

(٢) الذريعة ج ١٢ ص ٢١.

(٣) المصدر السابق ج ٢١ ص ٢٩٩.

ولأن تفسير الآيات قد جاء للكشف عن دلالتها على الأحكام الشرعية فقد اتخذ التفسير منحى فقهياً، فكانت الطهارة التي هي فاتحة الكتب الفقهية بداية في تفسير الآيات، ومن ثم الانتقال الى الصلاة وهكذا الى الحدود والديات.

واخيراً القصاص، على ان ابواب القضاء والشهادات قد اتخذت مكانها في فصول الكتاب الاخيرة.

ولعلّ ما يمتاز به هذا الكتاب الشريف التي تناولت تفسير آيات الأحكام هو افراده فصلاً لتفسير سورة الحمد، وبرّر المفسر ذلك بقصد اليمن والتبرك فكانت سورة الفاتحة فاتحة الكتاب.

ومع ذلك نلمس الجانب الفقهي في تفسير سورة الفاتحة بشكل واضح وجلي فيقول مثلاً في البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» انها لا تتصدر افعال الظهور بل تتصدر كل فعل، وهو تعليم العباد ذكر الله عند البدء في كل عمل، ولذا يليق بالمسلم ان يذكر البسملة عند تناول الطعام والشراب وارتداء الثياب والذباحة وسائر الأعمال الأخرى وهذا ما يعضده الحديث القائل «كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر».

ومن الممكن في هذا الاستدلال على وجوب البدء باسم الله في جميع الأفعال والامور عدا الامور التي تخرج عن ذلك بالدليل والرواية،

فالباقي ينضوي تحت ذلك الحكم مثل وجوبه في الذبح.

ثم تأتي عبارة «الحمد لله رب العالمين» حيث يرجّح ذكرها عند الانتهاء من أي عمل، في استدلال يشبه الاستدلال على اهمية البسملة.

و«الرحمن الرحيم» وفيها دلالة على العفو والتسامح الإلهي.

«مالك يوم الدين»، وفيها ترغيب وترهيب واثبات للقيامة.

«اياك نعبد» وفيها اختصاص لله بالعبادة ففيها العبادة لله وحده وفيها الاخلاص في العبادة ونيتها لله، فالاخلاص اذن واجب وتركه والرياء سواء وهو حرام.

«وإياك نستعين» دالّة على عدم جواز الاستعانة بغير الله، ليس في العبادة وحدها بل في سائر الامور، عدا ما خرج عن ذلك بالدليل ورجحان الاستعانة بالآخرين كما يستفاد من ذلك على الأقل.

«اهدنا الصراط المستقيم» دلالة على ان طلب الخير من الله راجح، وخاصة أصل الخير واساسه وهو الصراط المستقيم ودين الاسلام، كما يستفاد من ذلك مشروعية الدعاء.

ثم يضيف بان في بناء السورة ونظمها دلالة على طريقة تعليم الدعاء حيث البداية ذكر اسم الله ثم الحمد له والثناء على ذاته المقدسة ثم التوسل بالعبادة والدعاء والطلب من الله رب العالمين.

وبعدها يقول بانه لم ير احداً التفت الى هذه السورة لاستنباط

الاحكام منها، بالرغم من تعرضهم لها في تفسير بعض المواضيع، ويعلل ذلك بان العلماء قد اهملوا ذلك لظهورها الجلي أو لوجودها في آيات اخرى[١].

تأملات في كتاب زبدة البيان

يقول الأردبيلي في باب الزكاة بعد ذكره الآية الكريمة، ﴿ ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ﴾[٢] لا يستبعد الاستدلال بهذه الآية ليس على حرمة حب الحمد من الآخرين على أعمالهم بل الفرح والاعجاب بعمله من قبله هو ايضاً.

ويسوق بهذه المناسبة رواية وردت في كتاب «احياء العلوم» وهي تحكي عن شخص مُدح في حضرة النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي ما معناه: ان رضي بما تقول فان مصيره الى النار[٣].

ويعلّق الاردبيلي أن في الآية كفاية (يعني حتى افتراض عدمة صحة الرواية فان الآية الكريمة تؤدي الى ذات المعنى).

---

(١) زبدة البيان ص ٤ ـ ٧.

(٢) آل عمران الآية ١٨٨.

(٣) لم اعثر على نص الحديث واستغفر الله عن التحريف ـ المترجم.

ويقول في ذيل الآية الشريفة: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احدا﴾[١].

ان الآية مع الالتفات الى التفسير السابق تدل على وجوب الاخلاص واشتراطه في العبادة حتى بعد الانتهاء منها، فلا يعجب بها ولا يفرح.

ويضيف الى ذلك انها تفسر وتدل على قوله تعالى: ﴿يحبّون أن يحمدوا﴾[٢] وفي هذا اشكال ومشقة اسأل الله العون والعفو[٣].

وفي موضوع آخر حول الآية الكريمة: ﴿قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احدا﴾ ينقل حديثاً عن الامام الصادق عليه السلام مفاده انه ما من احد يقرأ آخر سورة الكهف قبل نومه إلا واستيقظ في الساعة التي يريد.

ويعلق الأردبيلي على ذلك بقوله: انه جرّب قراءتها فكان يستيقظ في الساعة التي اراد، ويعضد ذلك بما سمعه من العلماء الثقات، ثم يستدل بهذا على صحة الرواية، وصحة صعود نور من محل نوم من يقرأها الى بيت الله الحرام ايضاً، ويعلل ذلك بترادف الخبرين في مكان واحد، فلا

---

(١) الكهف الآية ١١٠.

(٢) آل عمران الآية ١٨٨.

(٣) زبدة البيان ص ١٣٤.

معنى أن يصح قسم منه ويبطل القسم الآخر . وفي الرواية ايضاً انه نور الملائكة يدعون لقارئها حتى وقت يقظته.

حديقة الشيعة

وهو من الكتب الجليلة القدر يشتمل على جزءين، حيث يشتمل الأول ـ وعلى اساس ما ذكره الاردبيلي في مقدمة جزئه الثاني ـ: ذكر مجمل من احوال آباء واجداد الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ومختصر من حالات سيد الكائنات ويشتمل جزؤه الثاني على مناقب امير المؤمنين وفضائل الائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين والأدلة على امامتهم وبطلان امامة غيرهم.

بالطبع لم اطالع حتى الآن جزأه الأول ولكن جزأه الثاني يشتمل على مواضيع استدلالية محكمة.

وقد أورد المرحوم الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي ـ المتوفى سنة ١١٠٤هـ ـ ذكر ثلاثة من آثار الأردبيلي هي: شرح الارشاد، وتفسير آيات الأحكام وحديقة الشيعة[1].

وقد ذكر المرحوم الشيخ يوسف البحراني ان الاردبيلي نسب كتاب حديقة الشيعة الى نفسه كما ورد ذلك ايضاً في «أمل الآمل» وكذا الشيخ

---

(١) أمل الآمل ص ٢٣.

المحدث الصالح عبدالله بن صالح وآخرون قالوا مثل ذلك[١].

ومن المؤسف أن نجد تشكيكاً في نسبة الكتاب الى الاردبيلي، مع وجود شهادات كبار العلماء وأهل الاطلاع والتحقيق وتأكيدهم بأن «حديقة الشيعة» هو من آثار وتصنيفات المرحوم الأردبيلي.

اضافة الى فقرات وردت في الكتاب يتحدث فيها المؤلف وينسب المؤلَّف الى نفسه، ففي حديثه عن الامام الصادقعليه السلام وفي بحثه حول ابي هاشم الكوفي ومذهبه فيالصوفية والأحاديث التي تؤيد ذلك كما رواه على بن الحسين ابن موسى ابن بابويه القمي(رض) في كتاب «قرب الاسناد» عن سعد بن عبدالله عن الامام الحسن العسكريعليه السلام ويتحدث الاردبيلي عن عثوره على الكتاب المذكور بخط مؤلفه، ثم يسوق حديثاً آخر في صلاة الجمعة وسؤال المعصوم عنها ويضيف الى ذلك قوله: وقد فصلت ذلك في كتاب «زبدة البيان»[٢].

ونجد في موارد اخرى ان الأردبيلي ينسب الكتاب لنفسه اذ نجد بعد صفحات من الموضوع اعلاه قوله: ومؤلف الكتاب المحتاج الى رحمة رب الأرباب احمد الأردبيلي.

---

(١) لؤلؤة البحرين ص ١٥٠.

(٢) حديقة الشيعة في باب حالات الامام الصادق في السطور التي تسبق ذكر المذاهب الصوفية.

ثم يتحدث عن مروره باصفهان ومشاهدته اهلها يـزورون ضريح الشيخ ابي الفتوح العجلي الاصفهاني على انه الشيخ ابي الفتوح الرازي.

وهناك شاهد آخر في الكتاب (حديقة الشيعة) في باب نزول سورة ﴿هـل أتى﴾ في حـق أهـل البـيت عليهم السلام حـيث يـتحدث عـن شـأن اميرالمؤمنين عليه السلام وايثاره وايثار زوجه وولديه وجاريتهم وتحملهم آلام الجوع ثلاثة أيام متواصلة لا يملكون شيئاً سوى اقراص الشعير، حتى اذا طرقهم فقير او مسكين آثروه بها وافطروا على الماء وحده.

ثم يضيف الاردبيلي بعد هذا: كما كتبه الفقير في شرحه على ارشاد الفقه[1].

ونجد لدى التأمل في المورد الأول احالة الى كتابه زبدة البيان،وفي الثاني تصريحاً على انه مؤلف كتاب حديقة الشيعة، وفي الثالث يشير الى شرحه على الارشاد للعلاّمة .

وبالطبع لا اعرف مكان الشاهد في الشرح الذي اشار اليه ولكـن المرحوم الحاج النوري يقول باحتمال وجوده في كـتاب الصـدقة مـن الشرح على الارشاد، وقد ضاعت هذه الأقسام من الكتاب.

ومن المؤسف جداً ان نجد الميرزا مـعصوم عـلي بـن المـيرزا زيـن العابدين نـائب الصـدر المـلقب بـ «رحـمة عـلي شـاه نـعمت اللـهي

---

(١) حديقة الشيعة /ط ق ص ٢٠.

الشيرازي»، وفي كتابه «طرائق الحقائق» في باب تذكرة العـرفاء يـنفي وبشكل قاطع أن يكون المـقدس الاردبـيلي قـد ألف كـتاب حـديقة الشيعة، والأسوأ من ذلك كلّه ان يستدلّ على ذلك بأن الاردبيلي هـو نفسه من المتصوفة فكيف يعقل أن يؤلف كتاباً في ذمّهم[1].

ويبدو أن هذا الموقف قد جاء عن عجز كامل في الردّ على كـتاب الاردبيلي الذي حفل بفضح طرق المتصوفة بـل وتـصريحه بكـفرهم والحادهم او انحرافهم، ولأن مؤلف «طرائق الحقائق» يُنسب الى تلك الفرق الضالّه، فقد وقف في مفرق طريقين بين الردّ عليه وهي مـهمة مستحيلة، نظراً لعمق البحوث التي ناقشت مذاهب المتصوفة وفندتها، والى سموّ المؤلف الاردبيلي الذي كان يتمتع بمنزلة رفيعة في الاوساط العلمية والاجتماعية، ولذا وجد من الافـضل اخـتيار الطـريق الثـاني فادعى بخبث انتساب الاردبيلي الى المتصوفة وانه لن يؤلف بأي حال من الاحوال كتاباً ضد مذاهب الصوفية.

ومن المدهش حـقاً ومـا يـبعث عـلى الألم ان يـدّعي البـعض ان الاردبيلي بشخصيته العظيمة وفي وزنها العلمي والفقهي، وذلك السمو الأخلاقي كان متصوفاً حيث ورد في نـفس ذلك الكـتاب تخـرصات اخرى من قبيل انتساب شـخصيات اخـرى كـالسيد ابـن طـاووس

---

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ١٥ ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

وشقيقه السيد احمد وابنه السيد عبدالكريم وكذا فهد الحلي والشيخ الشهيد والمجلسي الأول والثاني وغيرهم الى الصوفية، وهذه جريمة لا تغتفر، من اجل تعزيز العقائد الضالّة بإلصاق هذه التهم الباطلة بنوّاب صاحب الزمان عليه السلام الاجلاّء والدعاة الى الله، واعلام الهدى واركان الدين.

تلخيص الكتاب

يذكر المحدّث النوري رضوان الله عليه نقلاً عن كتاب رياض العلماء تأليف المرحوم الميرزا عبدالله الاصفهاني :

ان محمد بن غياث المشهور بـ«جلال الدين امير» قد قام بتلخيص كتاب «حديقة الشيعة» للمولىٰ احمد الاردبيلي.

ويذكر ايضاً ان لديه رسالة أُلفت على عهد المولى احمد الاردبيلي ومطلعها (بعد الحمد والصلاة اما بعد اعلم ايها الولي المؤمن.. ثم يذكر انتهاءه من مطالعته كتاب حديقة الشيعة وانه من مصنفات العلاّمة الاردبيلي واشار بعض الاصدقاء انه انتخب الباب الذي يتعرض لبيان مذاهب وعقائد الصوفية من الكتاب، ويذكر استجابته لطلبهم فجعل لذلك رسالة منفردة[١].

---

(١) مستدرك الوسائل ط قديمة ج ٣ ص ٣٩٥.

سرقة وتحريف

تشكل اللصوصية في حقل التأليف وعالم الكتب مساحة كبيرة . فما اكثر الذين سطوا على آثار الآخرين وجهودهم فحرفوها ونسبوها لأنفسهم زوراً وبهتاناً، وانه لظلم كبير يرتكبه بعض الذين لا يخافون ربّهم ولا يوقنون بيوم الحساب.

ويبدو أن كتاب «حديقة الشيعة» لم يسلم هو الآخر من أيدي لصوص الكتب ومحرّفي الكلم.

ونقل بعضهم ان احد المتزيين بزي العلماء ولم يكن له في العلم باع ولا ذراع سافر الى الهند وكان سلطانها آنذاك عبدالله قطب شاه، فقدم كتاب «حديقة الشيعة» الى السلطان على انه اثر من آثاره وكتاب من بنات افكاره!

وبالطبع اجرى ذلك السارق بعض العمليات التيتشبه عمليات الجراحة، فابدل خطبة الكتاب بخطبة اخرى ثم عالج المقاطع التي يحيل فيها الاردبيلي الى مؤلفاته بشكل ذكي اذ لم يسقطها بل جعل الاحالة بشكل آخر.. مستخدماً العبارة التالية: «وهو ما اشار اليه الاردبيلي في كتابه الفلاني»، وربما اقحم بعض الابيات الشعرية كبديل لتلك الاسطر كما اسقط وبشكل كامل في احوال الامام الصادق القسم الذي يتعرض

الى ذم المتصوّفة وانحراف مذهبهم لعلمه بموقف السلطان الذي يميل اليهم، وفي الختام اسقط السطور الأخيرة من الكتاب المسروق، وساق مكانها ثناءً للشاه اسماعيل مؤسس السلالة الصفوية وشفعه بمديح السلطان عبدالله ملك الهند ، وختم ذلك بأبيات شعرية مطلعها:

اشكر الحق مباركة هذا الكتاب   ليس فيه سوى الصدق والصواب

الى أن يقول مؤرخاً الفراغ من تأليفه!:

وكان في الخمسين وثمان بعد الألف ذاك تاريخ تأليف الكتاب.

وهكذا تعرّض كتاب «حدائق الشيعة» ومؤلفه لظلم فادح ، فمن جهة ينفىٰ عن مؤلفه ، ومن جهة اخرى يسرق ويحرّف أو يلخص بشكل يذهب من قيمته العلمية.

الفصل الثالث

قبس من اخلاقه الرفيعة

تواضعه

من مكارم إخلاقه هو تواضعه الشديد الذي يكاد أن يكون صفته الغالبة كما تصوره الحوادث، حيث بلغ الذروة في ذلك.

فقد صادف ان احد زوّار النجف التقى الاردبيلي في طريقه وعندما وقعت عليه عينا الزائر ورأى ثيابه البالية حسبه رجلاً من عامة الناس. فطلب منه أن يغسل له ثيابه، وخلع الزائر ثيابه وسلّمها اليه، وبالطبع لم يعترض الاردبيلي بل اخذ تلك الثياب وانطلق بها الى منزله، وباشر غسلها بنفسه ثم تجفيفها حتى لا يتأخر عن الموعد الذي ضربه له الزائر.

واكتشف الزائر بعد ذلك هويته وظلّ حائراً ماذا يفعل كما لامه الناس كثيراً على فعله، وجاء الاردبيلي يحمل ثياب المسافر مغسولة مرتّبة ونهى الناس عن لومه قائلاً: ان من حقوق اخواننا المؤمنين ما لا

يمكن اداؤها بغسل ثيابهم[١].

وقد روى المرحوم المحدّث القمي رضوان الله عليه هذه الحكاية نقلاً عن بعض الاشخاص وعلّق عليها برواية حكاية مشابهة لها قائلاً: ان الاردبيلي قد اقتدى بالامام الثامن من ائمة أهل البيت عليهم السلام وهو الامام الرضا عليه السلام، اذ دخل يوماً الحمام فطلب منه احد الاشخاص أن يدلك له بدنه، وراح الامام عليه السلام يدلك لذلك الشخص جسمه، ولما رأى النـاس يسلّمون على الامام باحترام واجلال واكتشف هويّة الامام اعتذر اليه، فهدّأ الامام من روعه واستمر في تدليك بدنه حتى انتهى منه[٢].

وفي كل الاحوال تعكس تلك الحكاية عـمق تـواضـع الاردبـيلي واهتمامه باداء حقوق اخوانه من المؤمنين، حيث عدّ عـمله الآنـف لا شيء في مقابل حقوقهم العظيمة.

تواضعه للتلاميذ

ومن اخلاقه وأدبه العظيم تواضعه لتلاميذه فلم يـعهد مـنه تـعالياً عليهم بسبب تفوقه العلمي وحاجتهم اليه ولنصغ الى هذه الحكاية عن المرحوم الاردبيلي:

---

(١) روضات الجنات ط. ق ص ٢٣ ـ اعيان الشيعة ج ٣ ص ٨١.

(٢) الفوائد الرضوية ص ٢٥.

في احد الايام التي كان الشيخ بهاء الدين محمد يزور فيها النجف الاشرف رأى ان يزور المكان الذي يلقي فيه الاردبيلي دروسه، فرأى حلقة لا يعرف فيها التلميذ من الاستاذ ورأى الاردبيلي محشوراً في الجمع وكان صدر المجلس خالياً. وهنا اصرّ الشيخ بهاء الدين على الاردبيلي ان يتصدر المجلس فأنهضه من مكانه لذلك، وفي الاثناء ارتفع صوت مهيب:

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾، ولم يعثر على صاحب الصوت، فارتعدت فرائص الاردبيلي وشحب وجهه، وانتفض من صدر المجلس باكياً ليجلس بين تلاميذه مرّة أخرى[1].

---

(١) سورة القصص الآية: ٨٣.

والآية جرس انذار للذين يتكبرون في الأرض، لأنهم لن يشمو رائحة الجنة ابداً.

لقد كان امير المؤمنين يردد هذه الآية الكريمة في الاسواق وفي الطرقات، وهو يعين العاجز ويرشد الضالّ ـ مناقب ابن شهرآشوب ج ٢ ص ١٠٤.

وفي تفسير القمي ج ٢ ص ١٤٦ حديث حفص بن غياث ان الامام الصادق لما تلا هذه الآية بكى وقال: ذهبتْ والله الاماني.

وفي خطبة لأمير المؤمنين حول الخلافة وتمرّد اعدائه قال: فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها».

احسانه للمساكين

ومن خصال هذا الفقيه الكبير الجليل القدر، انه كان يعيش حياته بين الناس يحسن الى بائسهم ويطعم مسكينهم.

ذكر السيد نعمة الله الجزائري المحدّث المعروف والذي عاش قريباً من عصره[١] ان الاردبيلي كان يعتم بعمامة كبيرة فاذا رأى مسكيناً او محتاجاً، فتحها وأعطاه قدراً منها، وربّما عاد الى منزله وليس في عمامته ذراع[٢].

وينقل عن الاردبيلي انه اذا ما حصل على شيء عن طريق حلال ـطعاماً كان او كساء، زهيداً كان او ثميناً ـ استفاد منه، وكان يقول أن الاحاديث متظافرة في ان الله سبحانه اذا انعم على عبد احب ان يرى أثر نعمته عليه، وهو معنى الآية الكريمة: ﴿وأمّا بنعمة ربك فحدّث﴾[٣].

وان ضيق عليه صبر، ومن هنا فلم يكن الاردبيلي يردّ هدية تهدى له، فربما ارتدى عمامة ثمينة اهديت اليه فاذا ذهب الى الزيارة وسأله محتاج فصل له منها ما يسدّ حاجته، وربّما عاد الى منزله وليس في

---

(١) توفي الاردبيلي سنة ٩٩٣ هـ فيما كانت ولادة الجزائري في سنة ١٠٥٠، ووفاته في سنة ١١١٢هـ.

(٢) الانوار النعمانية ج ٢ ص ٣٠٢.

(٣) الضحى.

عمامته إلا اليسير منها، فيعتم بغيرها.

وكان يوزع طعامه على الفقراء والمحتاجين فيسنوات القحط والغلاء ولا يبقي لنفسه واسرته إلا مقدار ما يعطي للفقراء منه.

وربّما اغضب هذا التصرف زوجته اذ قالت له مرّة: لقد تركتنا نسأل الناس، فلم يجد الاردبـيلي بـدّاً مـن مـغادرة المـنزل والاعـتكاف في مسجدالكوفة، فلما كان اليوم التالي طرق المنزل رجل يرتدي زيّاً عربياً ومعه قمح ودقيق وقال لزوجة الاردبيلي بعد أن سلمها القمح والدقيق: لقد أرسله لكم صاحب المنزل وهو الآن معتكف في مسجد الكوفة.

ولمّا عاد الاردبيلي من اعتكافه في المسجد قالت له زوجـته: كـان قمحاً طيباً ذلك الذي ارسلته بيد الاعرابي، فحمد الاردبيلي ربّه[1].

كلمة في الاخلاص

في كتابه «مجمع الفائدة والبرهان» يمجّد الاردبيلي وفيعدّة مناسبات الاخلاص ومشقته، ففي باب العمل فيجهاز السلطان والحاكم، يجـوّز الاردبيلي ذلك بشرط قضاء حوائج المؤمنين، ثم يشدّد على ان لا يكون العمل مع السطات مدعاةً لزيادة النفوذ، والصيت والمدح في المجـالس والمحافل، وأن لا يمنّ على احد اذا قدّم له خدمة أو قضى له حاجة لأن

---

(١) الانوار النعمانية ج ٣ ص ٣٠٢.كما يراجع «الكلمة الطيبة» للمحدّث النوري.

كل ذلك يذهب بالأجر وهو مصداق قوله تعالى: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى﴾[١]، وان تكون القربى من الله الهدف والغاية الوحيدة وهكذا يستأنف بحثه ليخرج بنتيجة مفادها ان الاخلاص هو الأصل والاساس، وانه من المشقة بمكان الاستقامة عليه، ويسوق ابياتاً شعرية تصور المرء وهو يستخرج من بين فرث ودم لبناً سائغاً، وهذا غاية ما يمكن من التشبيه[٢].

الاخلاص في العمل واحترام الآخرين

روى السيد الجزائري رحمة الله عليه ان العالم الصالح الملا عبدالله الشوشتري زار العالم الورع التقي المولى احمد الاردبيلي حول مسألة من المسائل وراح يتحدث اليه بشأنها، وكان الاردبيلي يسكت عن الجواب او يقول سأراجع في ذلك الكتب، ثم أخذ بيد ضيفه الشوشتري الى خارج المدينة (النجف) فلما اصبحا وحيدين، اقبل الاردبيلي على صاحبه وقال: اطرح مسألتك يا أخي، فعرض الشوشتري مسائله وكان الاردبيلي يجيب بشكل ادهش صاحبه الذي قال متعجباً: ولماذا لم تجبني وقتها في المجلس؟! فقال الاردبيلي مجيباً: لقد كان ذلك وسط الناس

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٤.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان ج ٨ ص ٧١ ـ ٧٢.

فخشيت من حالة التنافس وأن يكون الظفر في ذلك هدفنا، أما الآن فلا شاهد علينا إلا الله سبحانه[١].

وفي هذه الحكاية تتجسد لنا ذروة الاخلاص التي بلغها الاردبيلي في سيرته، واحترامه لموقف الآخرين فلم يشأ الاردبيلي أن ينال من شأن صاحبه امام الناس وابراز تفوقه عليه علمياً، فحفظ له موقعه الاجتماعي بين الناس.

مساعٍ حميدة

ومن الحكايات التي تروى عن هذا الرجل العظيم، انه بالرغم من مركزه العلمي والاجتماعي الرفيع، كان يسعى دائماً للاصلاح بين الناس، وسدّ ما يحتاجون اليه، وربّما استعان من اجل ذلك ببعض ذوي النفوذ بالرغم من حذره الدائم منهم او حساسيته تجاههم، ومن امثلة ذلك رسالة سطرها لحلّ مشكلة اعترضت احدهم، والحكاية:

ان احد الامراء في حكومة الشاه عباس الأول قد قصّر في خدمة سلطانه فتهدده بالعقاب، ولم يجد الامير ملاذاً سوى اللجوء الى الاردبيلي في النجف فشدّ الرحال اليه وطلب اليه ان يتوسط لدى الشاه عباس للعفو عنه، فكتب الاردبيلي هذه السطور:

---

(١) الانوار النعمانية.

باني الملك المستعار

ليعلم عباس ان هذا الرجل وان كان ظالماً فيما مضى

فهو الآن مظلوم،

اعف عنه لتقصيره، لعل الحق سبحانه وتعالى يتجاوز عن جزء من تقصيرك.

كتبه العبد في سلطان الولاية

احمد الاردبيلي.

وقد اجاب الشاه عباس برسالة جسّدت تواضعه للعالم الكبير:

ان عباس يشعر بالامتنان العميق في ان يقدّم خدمته لكم، على أمل أن لا تنسوا محبّكم بدعاء الخير.

كتبه الكلب في رحاب علي

عباس[1]

وتأمل قليل في رسالة الاردبيلي المقتضبة تشير ـ فضلاً عن اهتمامه بقضاء حوائج المحتاجين ـ الى بعض النقاط:

١ ـ تأكيد السطر الأول فيها على أن ملك الشاه عباس مجرد عارية وسرعان ما يخرج عن قبضته.

٢ ـ تجريد الاردبيلي للشاه عباس عن كل الوان التمجيد والالقاب

---

(١) روضات الجنات ط. ق ص ٢٤.

المتعارفة واكتفى بذكر اسمه فقط، وهذا يجسد ذروة شجاعته، وهو يخاطب اقوى سلاطين العهد الصفهوي على الاطلاق.

٣ ـ اتهام الشاه بارتكاب جرائم عديدة، حيث طلب منه العفو عن المقصّر فلعل الله يتجاوز عن (بعض) تقصيره.

وطبعاً تتضمن رسالة الشاه عباس الجوابية هي الاخرى بعض النقاط وهي لا تخفى على القارئ اللبيب.

رسالة اخرى

وقد بعث المرحوم الاردبيلي برسالة اخرى الى الشاه طهماسب الصفوي لتقديم العون الى احدهم، وقد نهض الشاه طهماسب اجلالاً وقرأ الرسالة، وعندما لاحظ ان المرحوم الاردبيلي يخاطبه بعبارة اخي تأثّر بشدّة وامر باحضار كفنه ووضع الرسالة في طيات الكفن وأوصى بوضع الرسالة تحت رأسه عند مواراته الثرى، للاحتجاج بها على منكر ونكير، لأن المولىٰ احمد الاردبيلي خاطبه بـ(يا أخي)[1].

ورعه وتقواه

تنهض شخصية الاردبيلي في الاساس على تقواه وورعه؛ ومن جملة

---

(١) رياض العلماء ج ١ ص ٢٤ ـ بهجة الآمال ج ٢ ص ١١٤.

ذلك ما رواه المرحوم الجزائري (رض): انه كان استأجر حيواناً من صاحبه لزيارة الكاظمين عليهما السلام والعسكريين عليهما السلام، وقد صادف في طريق عودته ومروره ببغداد ان حمّله احدهم رسالة يوصلها الى النجف، فأخذ الاردبيلي الرسالة ووضعها في جيبه ولم يركب حيوانه بل راح يسوقه سوقاً الى أن وصل النجف معللاً فعله ذاك بأنه لم يستأذن صاحب الحيوان في حمل الرسائل[١].

والحكاية تلقي الضوء على مدى ورع الاردبيلي الفريد، اضافة الى حبّه قضاء حوائج اخوانه، فهو يحتاط بشدة ازاء اموال الآخرين لأنه استأجر حيواناً للسفر لا لحمل الرسائل، وكان من حقّه الامتناع عن قبول الرسالة ولكن حبّه لاخوانه وسعيه لخدمتهم يصرفه عن مثل هذه المواقف، وهذه الحكاية تذكرنا بموقف صفوان بن يحيى وهو من اصحاب الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام:

فقد روى الشيخ النجاشي ان صفوان لما عزم السفر جاءه رجل ومعه ديناران فطلب من صفوان ايصالهما الى شخص في الكوفة، فقال صفوان ان بعيري كراء فانا استأذن في هذا صاحبه[٢].

وجدير بالذكر ان المرحوم السيد محسن الامين رضوان الله عليه

---

(١) الانوار النعمانية ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) رجال النجاشي ص ١٩٧.

يشكك في صحة الحكاية التي تروى عن الاردبيلي وقضية الرسالة تلك، ورأيه ان صح ما روي عن صفوان فمن المستبعد أن تصح حكاية الاردبيلي تلك مع منزلته الفقهية الرفيعة حيث يظنّ «الامين» أن هذه الحكاية من المبالغات الفاسدة والملفقة التي تحاول النيل من مقام الاردبيلي وهي اقرب الى القدح منها الى المدح[١].

وفي ما قاله الامين تأمّل ذلك أن منزلة صفوان لم تكن بالشيء اليسير فكيف نحتمل صحة هكذا رواية في شأنه ولا نحتمل صحتها في شأن الاردبيلي؟ هذا من جهة، ومن جهة اخرى ان الاردبيلي قد بلغ من تقواه وورعه في مسائل الحلال والحرام ما جعله يعيش مداليل الآية الكريمة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٢].

أفليست الرسالة تفوق في وزنها مثقال ذرة؟

على اننا لا نصرّ على صحة الحكاية ولا نملك من البراهين ما يعضد ذلك، وهي تبق في عداد المواضيع التاريخية التي تحتمل الصدق كما تحتمل البطلان، كما ان الامين رضوان الله عليه قد اكتفى بتشكيكه في صحتها ولم يقطع ببطلانها.

---

(١) اعيان الشيعة ج ٣ ص ٨١.

(٢) الزلزلة الآية الأخيرة.

ومن مظاهر ورعه ايضاً ما روي عنه انه كان له حيوان كان يسافر به الى كربلاء وسامراء فلم يكن ليضربه بالسوط ابداً وكان يرفق بـه فيركبه نصف الطريق ويسوقه في النصف الآخر، وقد بلغ من ترفقه به انه كان يدعه يجترّ الكلأ كلما اراد الحيوان ذلك[١].

اجل انه قبس من نور ائمته فلقد كان الامام زين العابدين يحج بيت الله الحرام على ناقة له فلم يضربها بسوط، فحج اثنتين وعشرين مرّة على هذه الحال كما روى ذلك المجلسي[٢].

وقد روي عن الامام الباقر عليه السلام انه لما توفي ابوه السجاد عليه السلام تركت الناقة تلك مرتعها وجاءت الى القبر فمرغت ناصيتها بـالتراب وهـي الناقة التي حج الامام بها واعتمر[٣]، ويروى انها ظلّت ثلاثة أيام على ذلك حتى ماتت.

وما يروى في زهده انه القى الدلو ذات يوم في بئر في الصحن (صحن المرقد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام) وعندما جرّ الدلو وجده مملوءاً ذهباً فرمى بالذهب الى اعماق البئر وقال: اللهم ان احمد يريد منك الماء لا الذهب[٤].

---

(١) قصص العلماء ص ٣٤٢.

(٢) جلاء العيون في احوال الامام السجاد(ع).

(٣) بصائر الدرجات ص ٣٥٣ ـ الكافي ج ١ ص ٤٦٧ ـ الاختصاص للشيخ المفيد ص ٣٠١.

(٤) قصص العلماء ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

انصرافه عن العودة الى ايران

من المؤكد ان الشاه عباس الصفوي كان يرغب بعودة المقدس الاردبيلي الى ايران.

فقد روى المرحوم التنكابني في احوال الشيخ بهاء الدين العاملي عليه الرحمة ان الشاه عباس كان يرغب بعودة الاردبيلي الى ايران والصلاة في المسجد الذي انتهى البناء منه، فاستشار الأعيان في ذلك فاشاروا عليه ان الاردبيلي لن يأتي إلا ان تبعث الشيخ البهائي الى النجف الاشرف في طلبه لعله يقنعه بذلك.

وطلب الشاه عباس من الشيخ البهائي التوجه الى النجف واقناع الاردبيلي بالمجيء الى ايران، وانطلق الشيخ البهائي الى النجف فاجتمع بالاردبيلي واخيراً تمكن من اقناعه بالسفر الى ايران، ولما جاءوا بالفرس ليركبها رفض الاردبيلي ذلك وطلب حماره، وسار الاردبيلي وفي ركابه الشيخ البهائي على رأس طائفة من الاعيان، وكان الحمار يسير الهوينى فطلب البهائي من الاردبيلي ان يسرع في السير، ولكن الاردبيلي لم يستجب، وقال انها طاقته فلا تحمّله اكثر مما لا يستطيع، وبعد مسافة من الطريق ترجل الاردبيلي، ولما سئل عن السبب قال ينبغي الرفق بالحيوان، فأنا اركبه مسافة واسوقه مسافة. فطلب الشيخ

البهـائي منه ان يركب حيواناً آخر فرفض الاردبيلي ذلك ايضاً. فـقال الشيخ البهائي اننا لن نطوي الطريق هكذا اذن.

وبعد مسافة طاب لحمار الاردبيلي ان يتناول مـن العشب فـتركه الاردبيلي يفعل ما يحلو له، فما كان من الشيخ البهائي إلا ان ساط الحمار، فانزعج الاردبيلي وقال لمَ تؤذي حماري؟ هذا وانت من علماء العـجم تؤذيني في مالي امامي وترتكب المعصية فكيف بـالاعيان والاشراف وعامة تلك الديار.. انني لن اذهب الى تلك البلاد.

وحاول الشيخ اقناعه بالعدول عن فكرته ولكن دون جدوى فعاد الاردبيلي ادراجه الى النجف[1].

ما ابرئ نفسي

وكان ذلك العظيم ومع كل كمالاته ومنزلته الرفيعة في العلم والعمل لا يزكي نفسه ابداً فنفسه متهمة وهو على حذر من الوقـوع في حـبائل الشيطان ومكره.

نقل المرحوم الشيخ مرتضى الانصاري اعلى الله مقامه ان الاردبيلي سئل ذات يوم: كيف بك اذا خلت بك امرأة، وعرضت عليك نـفسها وكان كل شيء مهيّاً لمواقعتها، فماذا تفعل عندها؟

---

(١) قصص العلماء ص ٢٣٥.

ولم يستنكر الاردبيلي شيئاً ولم يقل انه سيرفض ذلك وأنـه طـوّع نفسه لارادته وان الشيطان لن ينفذ الى قلبه بل قال: اسأل الله ان لا يبتليني بذلك[١].

وذكر المرحوم صاحب الجواهر هذه الحكاية بشكل آخر اذ سئل الاردبيلي عن موقفه اذا عرضت امرأة نفسهـا عليه وكـانت في غـاية الحسن والجمال والفتنة، فاستعاذ الاردبيلي بالله ولم يبرّئ نفسه.

وهذا تواضع في الجواب من لدن عالم نحـرير بلغ الذروة في اخلاقه وفضائله السامية، وجوابه يذكر بالآية الكريمة في سورة يـوسف عليه السلام ﴿وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربّي ان ربّي غفور رحيم﴾[٢].

وكذا الآية الكريمة ﴿فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى﴾[٣].

«المقدس» وسام المجد

لقد بلغ الاردبيلي مراتب رفيعة في العلم من خلال بحـوثه ودقـته وتقصّيه للحقائق، غير ان شخصيته في الغالب نهضت على تلك الروح

---

(١) ملحقات مكاسب رسالة العدالة ص ٣٣٠.

(٢) يوسف الآية ٥٣.

(٣) النجم الآية ٣٢.

الشفافة والنفس الصافية فكان فريد عصره ووحيد زمانه، فحاز لقب المجد الخالد وهو «المقدس» الذي اختص به دون سائر علماء الشيعة والاسلام.

وبالرغم من جود علماء حازوا هذا اللقب الرفيع كالمقدس الاعرجي المرحوم السيد محسن الكاظمي صاحب كتاب وسائل الشيعة في الفقه والمتوفى سنة ١٢٤٠ هـ، وكذا المقدس الطبري صاحب كتاب شرح اصول الكافي المتوفى سنة ١٠٨٦ وايضاً المقدس الكاظمي محمد امين الكاظمي صاحب كتاب هداية المحدثين الى طريق المحمدين والمعاصر للشيخ الحر العاملي وتلميذ الشيخ الطريحي، ولكنهم لم يشتهروا به ابداً[1] وظلّ الاردبيلي مقروناً بهذا اللقب حتى يومنا هذا. حتى اصبح يذكر بالمقدس فقط فينصرف الذهن الى الاردبيلي دون غيره، وقد ذكره القمّي وقدّمه على غيره.

وفي سفينة البحار ذكر من سيرته في مادة (حمد) لأن اسمه احمد كما تعرض الكتاب اليه ايضاً في مادة (قدس) وتحت عنوان المقدس، وهذا يدل على شهرته الكبيرة بهذا اللقب.

ولا يعلم بالضبط تاريخ حيازته هذا اللقب ولا المناسبة التي عادة ما تكمن وراء الكنى والالقاب، ولكن يبدو انه لا حادثة واحدة ولا

---

(١) الكنى والالقاب ج ٣ ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨.

مناسبة وحيدة التي وهبت للاردبيلي هذا الوسام، بل انها خلاصة لسنوات طويلة من الجهاد مع النفس، حتى بان للقاصي والداني فضله وشأنه وعلو منزلته.

وله في حل المشكلات طريق

من المسائل التي جعلت من الاردبيلي شخصية فريدة انه بلغ من سموّ منزلته انه كان يزور مرقد الامام علي بعد منتصف الليل فتنفتح له الابواب، فكان يتشرف بالمثول لديه أو لدى صاحب الزمان اذا ما استعصت عليه مشكلة علمية ولم يجد لها حلاً.

وفي هذا المضمار نقل المرحوم السيد الجزائري رضوان الله عليه، عن الثقات من المشايخ من أهل العلم والعمل انه كان للاردبيلي تلميذ يدعى ميرعلام[1] وكان في منتهى الفضل والورع وقد روي عنه انه قال:

كنت اسكن حجرة في المدرسة المحيطة بقبة امير المؤمنين عليه السلام ففي ليلة من الليالي الحالكة السواد خرجت اتمشى في الصحن بعد ان فرغت من المطالعة، وفي الاثناء لاح لي رجل يتجه صوب الحرم الطاهر فقلت في نفسي لعله لص جاء يسرق بعض القناديل فتعقبته دون ان يراني، فلما وصل باب الحرم رأيت الباب وقد انفتح له وانفتح له الباب الثاني

---

(١) ذكره في الحديث عن تلامذته.

والثالث حتى دنا من المرقد الطاهر فسمعته يحيّي امير المؤمنين واذا بصوت ينبعث من الضريح يردّ له التحية باحسن منها ثم سمعته يتحدث مع الامام حول مسألة علمية اهمّته، وبعدها خرج فتبعته الى خارج المدينة وقد ولّىٰ وجهه صوب مسجد الكوفة حتى اذا وصل المحراب سمعته يتحدث مع آخر حول نفس المسألة.

فعدت ادراجي الى بوابة المدينة وقد طلع الفجر، حيث مكثت انتظره هناك، فلما جاء سلمت عليه وحدثته بكل ما رأيت وطلبت منه أن يخبرني عن الشخص الذي تحدث معه في المرّة الأولى وعن الشخص الذي حدثه في مسجد الكوفة، فأخذ عليّ عهداً الا اخبر احداً ما دام حيّاً فلما اجبته الى ذلك قال: يا بني انني اذا ما استعصت عليّ بعض المسائل لجأت في حلها الى امير المؤمنين عليه السلام وفي هذه المرّة احالني الى ابنه المهدي عليه السلام وطلب اليّ ان اسأله عنها، فذهبت اليه في مسجد الكوفة[١].

وقد ذكر العلاّمة الكبير المجلسي ـ اعلى الله مقامه ـ هذه الحكاية مع بعض الاختلاف وخلاصتها: اخبره جماعة عن السيد الفاضل امير علام[٢].. فلما اقتربت منه عرفته وكان الاستاذ الفاضل العالم التقي الزكي

---

(١) الانوار النعمانية ج ٢ ص ٣٠٣.

(٢) بحار الانوار ج ٥٢ ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

مولانا احمد الاردبيلي قدّس الله روحه، وفيها يقول ان الصوت ارتفع من القبر الطاهر لامير المؤمنين قائلاً: اذهب الى مسجد الكوفة وسل القائم عليه السلام فهو امامك.

ولاء الاردبيلي لامير المؤمنين(ع)

ومع جلالة قدره وعلوّ منزلته ومامضى ذكره من خصاله ومناقبه فانه لم يجد شيئاً ينتفع به ـ حسب ما نقل بعد وفاته ـ سوى ولائه لامير المؤمنين عليه السلام، فكان هذا الولاء سبباً لنجاته.

فقد نقل المرحوم السيد نعمة الله الجزائري رضوان الله عليه في كتابه نور الانوار وبعد ذكر فضائل الاردبيلي وخصاله ان بعض المجتهدين رآه في عالم الرؤيا وكان في هيئة حسنة وقد خرج من مرقد امير المؤمنين عليه السلام بعد زيارته، فسأله عن العمل الذي اوصله الى هذه الدرجة لكي يقتدي به فأجاب الاردبيلي: يا شيخ ان ما شاهدته من اعمالي لا سوق لها هنا ولم ينفعني من ذلك شيء سوى حبّي وولائي لاميرالمؤمنين عليه السلام، فانا وصلت الى هذه المرتبة بذلك[1].

فاذا كانت اعمال المرحوم المقدس الاردبيلي لا سوق لها يوم القيامة، فكيف باعمالنا نحن وهي لا تبلغ معشار معشار ما قام به الاردبيلي؟

---

(١) دار السلام ج ٤ ص ٤٦ ـ مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٣٥٣ ـ بهجة الآمال ج ٢ ص ١٤.

على أن هذا لا يكون باعثاً لخمولنا بل هو وازع للعمل الصالح اقتداءً بامير المؤمنين عليه السلام وفي ظل ولايته.

وقد نقل المرحوم المحدّث القمي رحمة الله عليه هذه الحكاية ايضاً وشفعها برواية عن ابن عباس ورؤيته لسلمان الفارسي(رض) في عالم الرؤيا وهو مجلل بحلل الجنّة فسأله عن افضل الاعمال في الجنة بعد الايمان بالله ورسوله؟ فقال: لا شيء افضل من حب علي عليه السلام والاقتداء به[1].

(١) الكرامات الرضوية ص ٢٥.

الفصل الرابع

الاردبيلي في رأي الآخرين

معاصروه

من العوامل الهامّة المؤثرة في تبلور شخصية ما، هي البيئة التي يعيش فيها والمحيط الانساني الذي ينشأ فيه. ولا شك فان آراء العلماء المعاصرين ونظرتهم لشخص ما تسلط الضوء الكافي لرسم ملامح عامّة لشخصيته، واذا ما اردنا ان نتعرف المحقق الاردبيلي فان آراء معاصريه فيه ستكون المعين لنا في هذا المضمار. فيا ترى بأيّة عين كانوا ينظرون اليه؟

لقد عاصر الاردبيلي علماء مبرّزين في طليعتهم الشيخ البهائي وهو ما ذكره المرحوم الشيخ الحرّ العاملي رضوان الله عليه[1].

وذكر ذلك ايضاً صاحب الحدائق (الشيخ يوسف البحراني)[2].

وذكر العلامة المدرس ايضاً انه عاصر الشيخ البهائي والميرزا محمد الاسترابادي صاحب الرجال وغيرهما[3].

(١) أمل الآمل ج ٢ ص ٢٣.

(٢) لؤلؤة البحرين ص ١٤٩.

(٣) ريحانة الادب ج ٥ ص ٣٦٩.

كما ذكر ذلك ايضاً المرحوم العلياري وأن له مع الشيخ البهائي حكايات.

ومن المؤكد ان الشيخ البهائي يعد في طليعة العلماء آنذاك وقد عاصر الاردبيلي وكانت بينهما لقاءات، على اننا لم نعثر على كتاب مبوب يستعرض تلك الحكايات، وما عثرنا عليه متفرق في بطون الكتب وبصور مختلفة، ومن ذلك جلوسه مع التلاميذ دون صدر المجلس حيث جاء الشيخ البهائي وانهضه ليتصدر المجلس، وقصة الاردبيلي مع الشاه عباس الصفوي وايفاد البهائي من قبل الشاه لاقناع الاردبيلي بالسفر الى ايران حيث عاد الأخير بعد ان قطع مسافة من الطريق.

على اني سمعت عن لقاء الشيخ البهائي بالاردبيلي وبحثهما لمسألة من المسائل حيث اعتصم الاردبيلي بالصمت، وبعد ان انفض المجلس اخذ الاردبيلي صاحبه الى خارج المدينة حيث مقبرة وادي السلام، وهناك أورد الاردبيلي آراءه ونبه الشيخ الى خطئه ؛ الأمر الذي اثار دهشة البهائي وتساءل عن السر في اعتصامه بالصمت في المجلس، فردّ الاردبيلي بانه لم يرد أن يخدش في مقام البهائي لدى الناس.

وقد ذكرنا هذه الحكاية مع الملاّ عبدالله الشوشتري فيما مضى، ولعلّها تكررت مع الشيخ البهائي ايضاً.

ومن المهم جداً أن نعرف انه وبالرغم من الاختلاف الكبير في

سيرتي الرجلين فالبهائي كان نديماً لسلاطين الصفوية فيما كان الاردبيلي يعيش حالة الحذر بل كان يتحسس من كل علاقة معهم. اقول بالرغم من كل هذا فقد كان هناك احترام عميق متبادل بين الشخصيتين ولا أدل من تلك الحكايتين اللتين اوردناهما فيما سبق.

آراء خالدة

لا ادلّ من عظمة شخص ما من ثناء العظماء عليه، ولقد كان للاردبيلي النصيب الاوفر من كلمات العلماء التي قرنته بكل الخصال السامية والاخلاق الرفيعة، فرسمت منه انساناً هو المثال في الكمال.

قال عنه الشيخ الحرّ العاملي: مولاي الاجل الأكمل احمد الاردبيلي عالم فاضل، مدقق، عابد، ثقة، ورع عظيم الشأن جليل القدر[١].

وطالما ذكره المجلسي المتوفىٰ سنة ١١١٠ هـ. وفي مناسبات عديدة من آثاره بالثناء والتمجيد، وانه بلغ الذروة في زهده وفضله، وانه لم يجد في المتأخرين والمتقدمين مثله جمع الله بينه وبين الائمة الطاهرين، ويضيف: وكتبه في غاية التدقيق والتحقيق[٢].

وقال فيه صاحب الحدائق المتوفى سنة ١١٨٦:

---

(١) أمل الآمل ج ٢ ص ٢٣.

(٢) بحار الانوار ج ١ ص ٤٢.

كان مولانا الاردبيلي عالماً فاضلاً، محققاً مدققاً زاهداً عابداً ورعاً، ولم يسمع مثله في زهده وورعه وله كرامات[١].

وقال فيه العالم المتتبع الخبير الحاج محمد بن علي الاردبيلي وهو من علماء النصف الثاني من القرن الحادي عشر: امره في الجلالة والوثاقة والامانة اشهر من أن يذكر وفوق أن يوصف ، متكلم فقيه عظيم الشأن وجليل القدر رفيع المنزلة، وكان اعبد واتق اهل زمانه وله مصنفات من جملتها كتاب آيات الأحكام وكتاب شرح الارشاد وهما من الكتب النفيسة[٢].

وقال فيه المرحوم المامقاني: وأمر هذا الرجل في وثاقته وجلاله وفضله ونبله وزهده ودينه وورعه وامانته اشهر من أن يحيط به قلم أو كتاب وله مقامات وكرامات[٣].

وكان المرحوم المحدّث القمي كثيراً ما يمجده ، فاضافة الى ما ذكره في الفصل حول مادّة (حمد) من اوصاف وألقاب، فقد عرج وذكره مرّة اخرى في مادة (قدس) حيث قال عنه : الشيخ الأجل العالم الرباني، المحقق الفقيه الصمداني المولى احمد بن محمد الاردبيلي النجفي.

---

(١) لؤلؤة البحرين ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) جامع الرواة ج ١ ص ٦١.

(٣) تنقيح المقال ج ١ ص ٨٠.

ثم يضيف في أثر آخر: المضروب بزهده الأمثال والمضروب الى علمه آباط الابال[١].

وذكره في موقع آخر: الشيخ الأجل العالم الرباني والفقيه المحقق الصمداني المعروف بالمحقق الاردبيلي، الذي وصل في مراتب العلم والفضل والعبادة والزهد والكرامة والوثاقة والتقوى والورع والجلالة درجة لا توصف[٢].

كما اثنى عليه المرحوم العلياري بكلمات منمّقة جميلة؛ فهو في وثاقته وجلاله وفضله ونبله وزهده وديانته وورعه وامانته اشهر من ان ترى له مكانة، أو يذكر عنه بيان. وكيف لا وحاله في قداسة ذاته وعلو صفاته كاخلاق رسول الله وشجاعة وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولي المؤمنين علي عليه السلام وفي سماحته كحاتم ومضرب المثل بين أولاد آدم[٣].

وذكره المحقق الكبير الشيخ اسدالله التستري بالشيخ الأجل الأكمل الأفضل، الاعلم الاوحد الاورع، الأزكى الأزهد الاسعد الفقيه المفسر المتكلم المتبحّر العظيم الشأن الساطع البرهان فاتح ابواب غوامض الافكار ودقائق الانظار[٤].

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٤١٢.

(٢) الكرامات الروضية ص ٢٣.

(٣) بهجة الامال ج ٢ ص ١٠٨.

(٤) مقابس الانوار ص ٢٠.

وقال فيه صاحب زبدة المقال:

والاردبــيلي مــن الأعــاظم   منه استجاز صاحب المـعالم
مـــقدس ذو ورع وعــفّة   وفاته في الألف إلا السبعة

وذكره المرحوم الميرزا محمد على المدرس: المـقدس الاردبيلي مـن مفاخرعلماء الامامية في عهد الصفوية، جليل القدر عظيم الشأن فقيه عابد متكلم زاهد محقق مدقق قدسي السمات ملكوتي الصفات(١).

مسك الختام

كتب مؤلف تاريخ اردبيل: حـدثني الشـيخ عـبدالحسـين النـجفي البشيري قال: سمعت من بعض الثقات ان الاردبيلي في اوائل تحصيلاته العلمية اوفي بحبوحتها في النجف الاشرف تـلق رسـالة مـن والدتـه تدعوه فيها أن يأتي الى اردبيل وتخبره باشتياقها اليه؛ وعزم الاردبيلي رعاية لحقوق الام على السفر الى اردبيل، حتى اذا وصل قريباً من قرية «نيارق»، وسمع اهلها بذلك خرجوا لاستقباله حتى لم يبق في القرية احد الا عمدتها وكان رجلاً فاسقاً شارباً للخمر ويقال ان اسمه كان «كريماً»، وفي نفس الليلة التي ورد فيها الاردبيلي القرية رأى في عالم الاطياف ان العمدة قد توفي وأنه أمر بتشييعه وتكفينه وتجهيزه. فلما اسـتيقظ مـن

---

(١) ريحانة الأدب ج ٥ ص ٣٦٦ـ٣٦٧.

نومه حسب ذلك اضغاث احلام لأنه سمع بسيرة العمدة السيئة، وتكررت الرؤيا مرّة أخرىٰ وأخرىٰ، فلما استيقظ في الثالثة وخرج للوضوء سمع أهل القرية يتهامسون ويستبشرون بوفاة العمدة، فأدرك الاردبيلي ان رؤياه صادقة، فلما فرغ من صلاة الصبح استعد لتجهيز الميت وتكفينه، فتعجب الناس من ذلك.

وعندما تم ما أراد سأل الاردبيلي زوجة العمدة عن تفاصيل ما حدث ليلة الوفاة فقالت المرأة: ان زوجي رجل مشهور بالفسق معروف بالفجور وكان قد شرب الخمر في ليلة وفاته ايضاً ولكنه خاطبني قائلاً: ان حالي ليست علىٰ ما يرام هذه الليلة فابسطي لي فراشاً في فناء البيت، فرأيته يتأمل السماء والنجوم وقد علت وجهه ملامح التوبة والخشوع وقال بخضوع: اي رب انك تعلم ان المقدس الاردبيلى طاهر من الذنوب فإنك ان عفوت عنه فليس ذلك بكرم، انما الكرم ان تعفو عن «كريم» ذلك الفاسق العاصي.

فنهض الاردبيلى وهو يتمتم: وسعت رحمته كل شيء. لقد تاب الله عليه وعفا عنه[١]

---

(١) تاريخ اردبيل وعلمائها ج ١. ص ٦٢، ٦٣.